أنا والعفريت

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : أنا والعفريت
اسم المؤلف: إسماعيل مرسي
التدقيق اللغوي: ملك محمد جلال
تصميم الغلاف: محمد علي
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ١٦٦٦٧ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٣٦-٥

شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

أنا والعفريت

إسماعيل مرسي

مَسَار
للنشر و التوزيع

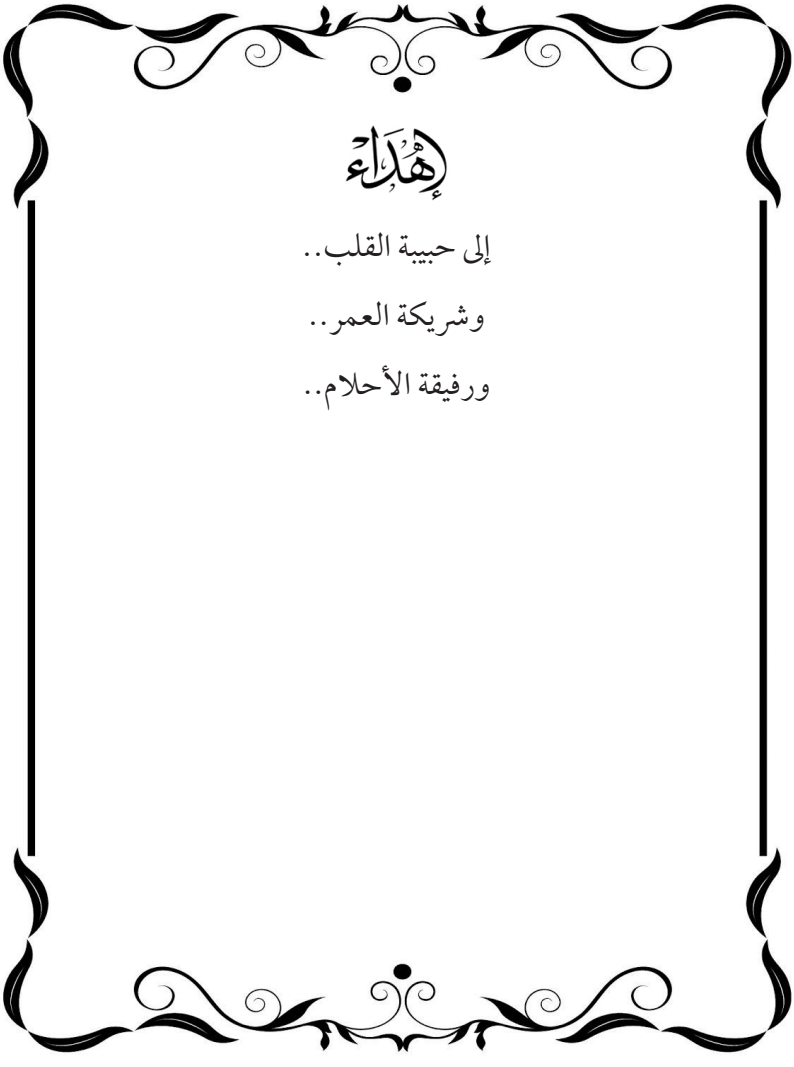

إهداء

إلى حبيبة القلب..

وشريكة العمر..

ورفيقة الأحلام..

شعرتِ الفتاة برعب الدنيا كله يجتاح كيانها، وذلك عندما فتح العجوز القبيح باب غرفتها، وانسل كأفعى إلى الداخل. كانتْ في فراشها تحت الغطاء عندما سألته في فزع: «أتحتاج إلى شيء يا عمي؟»، ولكنه لم يجب.. وسقط قلبها في قدميها عندًما أوصد الباب بالمفتاح. انكمشتِ المسكينة في فراشها، واشتدتْ قبضتها على الغطاء كأنّها تحتمي به. كانتْ سحنته مخيفة وعيناه الضيقتان بدتْ كعينين شيطان مريد، صاحتْ فيه: «ماذا تريد يا عمي؟ ولماذا أوصدت الباب؟». قال وهو يقترب منها، بصوته الخشن المخيف الذي كأنّه يأتي من غور سحيق: «أريدكِ أنتِ». ومدّ يده المرتعشة المتغضنة ليسحب الغطاء من فوقها بقوة، فكشف عن جسدها الغض الشبه عاريًا في قميص نومها. صرختِ الفتاة: «أنا زوجة ابنك، ألا تخاف الله؟». لمعتْ عيناه بشهوةٍ مخيفة، وقال: «وأنتِ ألا تخافين الشيطان؟». ثم قفز بجوارها فوق الفراش وأمسك بها ومدّ شفتيه المتشققتين كي يُقبلها، ولعابه يسيل من بين أسنانه المتكسرة، وأطلق يديه تعبثان بجسدها وحاول أن ينزع عنها ثيابها. وفجأة انفتحتْ فجوة من فراغ في سقف الحجرة، فطلّتْ منها السماء المظلمة تلمع فيها نجوم بعيدة، ومن قلب تلك الفجوة امتدتْ يدان عملاقتان أمسكتا به وسحبته من فوق جسد الفتاة، ثمّ انغلقتِ الفجوة وعاد السقف إلى ما هو عليه.

لم يشعر العجوز المجرم بنفسه إلّا وهو يسقط من الهواء أمام ذلك القطار المسرع الذي فرمه تحت عجلاته فرمًا وقطّع جسده إربًا إربًا.

ومن قلب الظلام البهيم، امتدتْ يدُ أحدهم والتقطتْ كفّ العجوز المقطوع والملقى بجانب القضبان، وانتزع من بين أصابعه الغليظة خاتمًا من فضة له فصّ كبير من حجرٍ أخضر..

(١)

في الصالة أمام التلفاز.. ألقى (عصام) بجسده النحيل الضئيل فوق أريكته الخضراء الأثيرة. وكان قد وضع على المنضدة أمامه طبقًا فيه ثلاث شطائر من السجق، وطبقًا آخرًا فيه شرائح من الخيار، وكوبًا من الماء. مدّ يده والتقط إحدى الشطائر وقضم منها قضمة، وتركها لأسنانه تطحنها وللسانه يقلّبها في فمه ببطء، وبيده الأخرى أمسك جهاز التحكم عن بُعد. فتح التلفاز، وبإصبعٍ كسولٍ أخذ يتنقّل بين القنوات.

كان ينظر تجاه الشاشة الفضية بعينٍ لا ترى؛ فقد كان عقله غائبًا بعيدًا.

كان (عصام) يعاني مؤخرًا من حالة اكتئاب حادة؛ فبالأمس قد احتفل وحيدًا بـ عيد ميلاده الثلاثين، وما زال يعيش وحيدًا في تلك الشقة الكبيرة والمتسعة، الخاوية والباردة، بلا عائلة، ولا زوجة، ولا قريب، ولا حتى صديق. والوحدة قاتلٌ صامت.. إنّ الصمت أكثر إزعاجًا من أشد ضوضاء. كان يحاول دائمًا أن لا يترك نفسه أسيرًا لهذا الصمت، كان يفرُّ منه قدر ما استطاع كما يفرُّ الهرّ من الاستحمام بالماء. كان يقضي معظم أوقاته على المقهى، نعم كان يجلس وحيدًا في ركنٍ بعيدٍ يحتسي الحلبة بالحليب.. يحب كثيرًا هذا المشروب! ويتابع في استمتاعٍ دوشة القوم وهم يتلاسنون ويتشاكسون، كان يتابعهم بشغفٍ وهم يلعبون الطاولة فيرمون الزهر بحماسة، ويضربون بقوة على رقعتها الخشبية بقطعها البيضاء والسوداء، ويصيحون بجزل وثقة: «شيش جهار».. «بنج يك».. «سه دو»، وكذلك كانوا يفعلون مع أحجار

الدومينو.. يعلم (عصام) أنّها الأعداد من واحد إلى ستة باللغة الفارسية: يك، دو، سه، جهار، بنج، شش. ويشك أنّ أحدًا ممّن يصيح بها فخرا وحماسة يعلم تلك المعلومة.

من بعد وفاة والده شعر (عصام) أنّه يعيش وحيدًا كسمكة في صحراء، سقط ضحية للملل والروتين اليومي الذي لا يتغير فسمم أيامه كلها، ونحتتْ على وجهه تجاعيد وكآبة جعلتاه يبدو أكبر من عمره بسنوات.. يعيش في شقة كبيرة من شقق الزمن الجميل.. كبيرة جدًا.. جدًا. خمسة غرف وحمامان وصالتان واسعتان ومطبخ كبير؛ ممّا يتسبب له بالشعور الدائم بالخوف كونه وحيدًا في تلك المساحة الشاسعة؛ والتي أغلب غرفها دائمًا هي مغلقة ومظلمة للتوفير في فاتورة الكهرباء.

عندما يكون في بيته كان يُشغل الكاسيت بأعلى صوت، فهو لم يكن وحيدًا فقط في شقته؛ بل كان الوحيد الذي يسكن في بنايته ذات الأربعة طوابق؛ فكل جيرانه قد باعوا شققهم إلى مقاول جشع، يريد أن يشتري شقته ويهدم المبنى كله ليبني مكانه ناطحة سحاب.. رحل كل الجيران قديمهم وحديثهم، ولم يبقَ إلا هو وحده.

قال (عصام) في نفسه: كان أبونا آدم يعيش في جنة الخلد، حيث لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، ورغم كل هذا لم يكن يشعر بالسعادة كما يفترض به أن يشعر! وذلك لأنّه كان وحيدًا بلا شريك، بلا آخر يشاطره أفراحه وأحزانه، أحلامه وآلامه، دموعه وضحكاته، ولهذا قال القدماء: جنّة بلا ناس لا تُداس. الحقيقة أنّنا لا نوجد إلا إذا وُجد الآخر.

ألقى بجهاز التحكم عن بُعد على الطاولة أمامه، وفي أسى ترك عينَيه تتجولان بين الصور العائلية المعلّقة بشموخ على جدران الصالة، كأنّها رسومات فرعونية على جدار معبدٍ قديم.. وفكر (عصام) في معجزة التصوير.. تلك الصور التي نجمِّد فيها جزءًا من أرواحنا ومن عمرنا، فتحمل في طياتها تاريخنا وسجلًا لمشاعرنا التي كنّا نشعر بها آنذاك، وتُذكرنا بما كان وكيف كان.. جفّ حلقه، شعر بالطعام ينحشر في بلعومه حشرًا؛ فتناول كوب الماء وألقى ما به في جوفه مرة واحدة.

توقفتْ عيناه عند صورة زفاف والديه بالأبيض والأسود، وكعادة كل صور الزفاف القديمة، كانتْ أمه شابة جميلة مراهقة صغيرة السن، تجلس في حياء واضح فوق مقعد خشبي مزين بأكاليل الورد البلدي، تزهو بفستانها الدانتيل الأبيض المُكَشكِش، وتضع كفًا على كفٍ فوق حجرها تضمهما على باقة من الزهور، ومن خلفها كان يقف والده ببذلة مقلمة، وقميص كتاني له كرانيش وياقة ضخمة معقودة حولها ربطة عنق مضحكة، وبشعر أسود كالفحم يلمع كأنّه كان منقوعًا في الفازلين منذ قليل، ومصفَف بعناية على جنب.. كان يقف كأسد في عرينه، شامخًا بكتفيه العريضين، وبشنبه الضخم المفتول الطرفين إلى أعلى. أطلق (عصام) تنهيدة حارة، ثم قال: «رحمة الله عليكِ يا أمي.. كم كنتِ جميلة!». هزّ رأسه في أسى، ثم تابع: «خطفكِ الموت من بيننا ولم نكن قد شبعنا منكِ بعد ومن حنانكِ.. رحمة الله عليك يا أبي.. كنتَ نعم الأب والصديق.. أحنّ وأطيب أبٍ في الدنيا كلها، يكفي أنّك رفضتَ الزواج من بعد رحيل أمي، في الوقت الذي كان يُثقل كاهلك ولدان وبنت كانوا عندئذ ما زالوا أطفالًا صغارًا، وأنفقتَ عمرك كله على تربيتنا

وتنشئتنا، فكنتَ لنا الأب والأم معًا.. رحمة الله عليك».

زفر (عصام) زفرة أخرى حارة كالجمر، كأنّها اللهب يخرج من قلب يحترق.. ترك جسده الضئيل يغوص في الأريكة وهو يتذكر والده الذي كان يعتني به عناية خاصة كونه آخر العنقود كما يقولون، ولأنّه كان ضعيفَ الجسدِ ومريضًا في أغلب الأوقات.

عشرة أعوام مرتْ على وفاته.. عندما دخل الشقة بعد دفنه ولم يجده جالسًا في مكانه المعتاد خلف مكتبه، هاجمته قشعريرة باردة ضربته في كيانه كصاعقة، وركضتْ عبر عموده الفقري إلى أطراف قدميه.. هاجمته أشباح الخوف وهواجس الوحدة، وارتمى على الأريكة بجسده كما يفعل الآن.. شعر باليُتم وهو شاب كبير في العشرين من عمره، شعر كأنّ كل الناس قد ماتوا ولم يبقَ في الدنيا سواه.. كم تمنى وجود أخيه وأخته بجواره! خاصة في تلك اللحظة التي أغلقوا على والده قبره.. وكم تمنى حينها أن يتركوه ليرقد بجواره ويدفنوه معه؛ فلا معنى ولا مغزى للحياة من بعده!

لم يمرض الوالد أبدًا، لم يره ولو لمرة مريض، أو ربما كان ماهرًا في إخفاء المرض عنه. وفجأة سقط.. لم يصدّق حينها أنّه قد مات إلا عندما حضر غُسله، كان جسد (عصام) كله يرتجف، كان مذهولًا كمجنون. لا يعلم حتى الآن من أين أتى هؤلاء الناس كلهم، هو لا يعرفهم ولم يرهم من قبل أبدًا، أتوا وقاموا بغسله وتكفينه وتجهيز دفنه ولازموه حتى قبروه، وعندما انتهوا تبخروا، لم يطلبوا حتى أجرًا نظيرًا لما فعلوه.. من هؤلاء ومن كلفهم ومن دفع لهم؟ لم يجد أبدًا من يجيبه على هذا السؤال.. ولكي يرِيح تفكيره قال ربما

كانوا أصدقاء قدامى لوالدي!

بينما كان (عصام) غارقًا في هذا التفكير المظلم الكئيب، ورغمًا عنه تسللتِ ابتسامة باهتة إلى شفتيه وهو يرمق صورة قد التُقطتْ في عيد ميلاد (مجدي) الخامس عشر، (مجدي) شقيقه الأكبر. كم كنّا سُخفاء وبُلهاء ونحن أطفال صغار! غمغم (عصام) وهو يتذكر تلك الأيام. كان أول عيد ميلاد يقيمونه من بعد وفاة أمهم.. آنذاك أصرّ والدهم على إقامة عيد ميلاد (مجدي) في موعده، كان يريد أن يؤكّد لهم أنّ الحياة لا بُد وأن تستمر، وأنّه لن يتوقف أبدًا عن حبهم وعن رعايتهم والحفاظ عليهم سعداء أصحاء، وذلك كي تشعر أمهم بالراحة والسعادة في رقدتها الأبدية.

عندما كان (مجدي) ما زال طالبًا في الجامعة، أقنعه أحد أصدقائه بالسفر معه إلى أمريكا، ورغم اعتراض والده الشديد على السفر، إلا أنّه لم يرغب أخيرًا في أن يقف حجر عثرة في طريق أحلامه. وسافر (مجدي) إلى بلاد العم (سام) وهو لا يملك سوى سذاجته الكبيرة وخبرته القليلة. وبعد سنتين من المعاناة والشقاء والتشرد تمكن من الزواج بشقراء أمريكية أكبر منه في السن بعشر سنوات وذلك كي تمنحه الإقامة، وأنجب منها بعد ذلك ثلاثة صبيان شقر زرق العيون بيض البشرة كأمهم، يبدو أنّها لم تقبل أن يشارك بجيناته المصرية البائسة في صنع أولادها.. مرّ على هذا أكثر من عشرين عامًا، لم ينزل فيها (مجدي) إلى مصر ولا لمرة واحدة، لم ينزل حتى ليحضر زفاف (مُشيرة)، شقيقته الوحيدة التي سافرتْ هي أيضًا بعد زواجها مباشرةً مع زوجها إلى الإمارات واستقرا هناك. لم يأتِ (مجدي) ولا (مُشيرة) حتى ليحضرا جنازة

والدهما!

نفض (عصام) عن عقله تلك الذكريات، وقام بحمل الأطباق ومسح الطاولة بمنديل ورقي، ثمّ توجه إلى المطبخ، غسل الطبقين وأعدّ لنفسه كوبًا من الشاي.

(٢)

بعد أن احتسى الشاي.. توجه (عصام) إلى غرفته لينام في تمام الساعة العاشرة كما تعوّد؛ ليستيقظ في السادسة. وبعد أن يفطر عند عربة فول عم (أحمد) بشارعهم، يركب ميكروباص ثم ينزل ليركب آخر، ليصل في تمام الثامنة إلى محل عمله. كان يعمل محاسبًا في شركة صقر لتجارة الأجهزة الكهربائية بميدان الجيزة. كان شديد الاهتمام والحرص في عمله، يجلس يعمل بلا كلل ولا ملل منكفئًا على فحص المستندات ومراجعة الفواتير والأذونات وكشوف الحسابات حتى الساعة الرابعة. ثم يعود إلى منزله في السادسة، وذلك بعد أن يشتري في الطريق كل ما يحتاج إليه من طعام وشراب وغيره من مستلزمات البيت. وبعد أن يجهز الطعام لنفسه، والذي يكون في أغلب الأوقات شطائر السجق المقلي الذي يعشقه وغالبًا لا يأكل غيرهن، ويشرب كوبًا من الشاي، يجلس للقراءة مدة ساعتين أو ثلاث، ثم يفتح التلفاز.. وفي العاشرة تمامًا يغلقه ويغسل الكوب والطبقين، ويتوجه آليًا إلى غرفته ويلقي بجسده الصغير فوق الفراش بعد أن يضبط المنبه على السادسة صباحًا.

وهكذا كانتْ حياة (عصام)، دائرة مفرغة من الملل؛ حيث لا جديد ولا شيء مثير.. حياة سرمدية من النكد والفراغ، كالتي عانى منها (سيزيف) الذي حكمتْ عليه الآلهة الجاحدة بأن يستمر إلى الأبد يعاني من دفع صخرة كبيرة إلى أعلى جبل، وقبل أن يصل إلى القمة تنفلتْ الصخرة من بين يديه

وتهوي إلى السفح؛ فيعود ويكرر ما فعله إلى الأبد دون توقف أو راحة. يقولون أنّ (سيزيف) كان لئيماً وجشعًا شريرًا، تمكن بمكره من خداع ملك الموت وقيده بالأصفاد السحرية، فلم يعد أحد من البشر يموت، وضجت الأرض بالأحياء. ولهذا تدخل (آريس) إله الحرب الذي انزعج كثيرًا من أنّ ضحايا حروبه ومهما كانتْ حالتهم من جرح وبؤسٍ لا يموتون؛ لذا هاجم بيت (سيزيف) وحرر ملك الموت الذي قامَ بدورهِ بقبض روح (سيزيف) والزج به إلى الجحيم. وهناك تمكن (سيزيف) مرة أخرى من خداع (برسفونيه) زوجة (هِيدز) ملك العالم السفلي، والتي تركته يعود إلى سطح الأرض. ثم بعد ذلك تمكن (هيدز) من قبض روحه وإعادته مرة أخرى إلى الجحيم ومعاقبته بهذا العقاب الأبدي. فكر (عصام) في هذا وقال في نفسه: «ولكن أنا لم أفعل شيئًا شريرًا، لم أتسبب في إيذاء ولو نملة، فلماذا أعاقب بهذا العقاب؟». عندما فكر في الجملة الأخيرة، زفر (عصام) وقال: «أستغفر الله العظيم، هل سأكفر أم ماذا؟».

عبثًا حاول (عصام) أن يغفو تلك الليلة، ومهما فعل لم يتمكن الوسن من التسلل إلى جفنيه.. أخذ يتقلب فوق فراشه كالمحموم. جرب كل أوضاع النوم دون فائدة.. وتساءل في نفسه: «هل هذا ما يطلقون عليه نوم العازب؟».

كانتْ عيناها الزيتونتان الواسعتان لا تفارق مخيلته.. عينان (نجلاء) زميلته في العمل، تلك البيضاء الغضة البضة، ذات الوجه الصغير الناضج المرسوم فيه برقة ملامح طفلة رائعة الجمال.. إنّها البدر في ليلة تمامه. كان ممدًا

فوق الفراش بلا غطاء متوسدًا مرفقه الأيسر، يُحملق في سقف الغرفة شارد الذهن، بينما تتلاعب ظلال الأثاث كالأشباح وتتحرك يمينًا ويسارًا بسبب ضوء مصباح الغاز الذي لا ينام (عصام) إلا بعد أن يشعله ويطفئ المصابيح الكهربائية.

كان (عصام) مأسورًا بشخصية (نجلاء) الهادئة والرومانسية، ويذوب شوقًا لأحمر خديها ولابتسامتها الخلابة الخجلة التي ترتسم برقة فوق شفتيها المكتنزتين. حاول أكثر من مرة أن يصارحها بحقيقة مشاعره الفياضة تجاهها، ولكن خجله كان أقوى من حبه؛ فكان يكبتُ مشاعره في قلبه فلا يسمح لها أبدًا أن تترجم إلى كلمات تخرج من فمه.. عند هذا هتف (عصام) يردد قول الشاعر:

طال البِعادُ وزاد الهَمُّ والقَلَقُ ومُهجَتِي في لهيبِ النَّارِ تَحتَرِقُ

فاستخبري الليل عنِّي فهوَ يُخْبِرُكِ إنْ كانَ جَفْنِي طُولَ الليلِ يَنْطَبِقُ

كان يشعر بالاختناق ويقفز قلبه بين ضلوعه مختلجًا عندما تلتفتْ إليه وتصوِّب بسهام عينيها إلى عينيه وتتكلم.. حينها كانتِ الحروف تنحشر في حلقه ولا تخرج من بين شفتيه، وإذا خرجتْ فهي لعثمة لا تكاد تبين. إنّه لا يعرف كيف يتحدث العشاق فيما بينهما، هو لا يفهم سوى لغة الأرقام، عقله يجري في اليوم الواحد مئات العمليات الحسابية دون انقطاع ولا كلل. وبين الوقت والآخر وبلا وعي كان يسترق النظرات من بعيد إلى ابنة الخمس والعشرين ربيعًا، والتي يحمل لها في قلبه حبًا عميقًا. وعندما يراها تضحك أو حتى تبتسم كان ينسى كل شقائه في لحظة.. أطلق (عصام) تنهيدة حارة

من أعماقه ووضع كفه على قلبه، ثم عاد وأنشد:

طال البِعادُ وزاد الهَمُّ والقَلَقُ ومُهجَتِي في لهيبِ النَّارِ تَحتَرِقُ

وشابَ رأسي مما قد بُليتُ به من الغرام ودَمْعُ العَينِ يَندَفِقُ

أقسمتُ يا مُنْيَتِي يا مُنْتهَى أملي بِخالقِ الخَلْقِ مِنها الغُصنُ والورَقُ

سَهلًا حَمَلْت عذابًا مِنكِ يا قدَري فَلَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ في الناسِ مَنْ عشِقوا

ومؤخرًا عندما تيقن (عصام) أنّه سيعجز عن التعبير والكلام وجهًا لوجه، قرر أن يتصل بها تليفونيًا ويفرغ لها عبره كل ما في قلبه من مشاعر وأحاسيس. حتى أنّه قد وضع خطة للحصول على رقم هاتفها.. قرر أن ينتظر يومًا تتغيب فيه عن العمل، ثم يطلب من زميلة لهما رقم هاتفها، سيقول لها أنّه يريد (نجلاء) في أمر هام وعاجل يخص العمل، وبعد أن يحصل على رقمها سيهاتفها ويصارحها بحبه، ويبث لها كل آماله وآلامه، سيقول كل ما لم يتجرأ من قوله في محراب عينيها الزيتونتين.. لكنّه كان ضعيف الشخصية ومتردد، فلم يتمكن أبدًا من فعل ما خطط له.. أقول ضعيف الشخصية بدلًا من أن أقول جبان؛ لأنّه يعتقد أنّه ليس بجبان ولكنّه صاحب شخصية مسالمة لا تميل إلى العنف، هكذا يظن نفسه، ولا بد أن نحترم آراء الآخرين وخاصة إذا كانتْ عن أنفسهم.

بينما كان (عصام) هائمًا في كل تلك الأفكار، سمع صوت زجاج ينكسر خارج غرفته، فقفز من فوق فراشه كمن لدغه عقرب، وصاح مرعوبًا: مم م من هناك؟

أمسك بمصباح الغاز وأنار ضوء الغرفة الكهربائي.. توجه إلى الباب على أطراف أصابعه كراقص باليه، كأنّ من في الخارج لم يسمعه وهو يصيح كشاويش الدرك «من هناك». فتح الباب بهدوء ومدّ رقبته خارجه ليرى من هناك. قال في نفسه: ربما تكون الريح قد فتحتْ نافذة من النوافذ فانكسر زجاجها. أو قد يكون لصًا.. نعم، لصٌ كسر نافذة وانسل إلى الشقة ليسرقها، وربما لو رآني لقتلني بسكين.. طارتِ الألوان من وجهه واهتزتْ ركبتاه في ضعف من تلك الفكرة المخيفة. فكر أن يعود ليحضر مسدس والده القديم الذي يحتفظ به في خزانة ثيابه، نعم هو لا يعمل وبلا ذخيرة، ولكنّه قد ينجح في إخافة اللص به.. ولكنّه نفض تلك الفكرة عن رأسه سريعًا؛ لأنّه فكر في أنّ اللص قد يكون هو أيضًا مسلحًا بمسدس مذخر، وعندما يرى أنّ (عصام) يحمل مسدسًا في يده، لربما بادر وأطلق عليه النار فقتله!

تقدّم (عصام) بحذرٍ صوب المطبخ، وما إن دلف إلى داخله، إلّا وقفز عاليًا وتفككتْ أوصاله ووقفّ شعر رأسه، وذلك عندما ماءتْ تلك الهرّة السوداء القابعة في منتصف المطبخ.. واشتدّ رعبه عندما تجمدتْ تلك الهرّة المخيفة كتمثال من شمع تُحدّق فيه بعينيها البلورتين التي تلمع في الظلام، تخيلها كوحش فظيع فأضاء النور، فركضتِ الهرّة وقفزتْ من نافذة المطبخ التي نساها (عصام) مفتوحة فدخلتْ منها. ركض (عصام) خلفها وأغلق النافذة، ثم توقف برهة ليلتقط أنفاسه الهاربة، لا يصدق ما حدث.

ولكن عندما تحرك ودون أن يشعر انغرستْ في قدمه اليمنى قطعة من زجاج الكوب الذي كسرته الهرة المشؤومة عندما دخلتِ المطبخ، فأحدث

ذلك الصوت الذي أفزعه في فراشه. أخذ عصام يقفز على قدمٍ واحدة وهو يسُب ويلعن الهرة ويلعن معها حظه الهباب.

مدّ أطراف أصابعه وأخرج قطعة الزجاج من قدمه المصابة، ثم لملم بقايا الكوب المكسور فوق الأرض وألقاه في القمامة، ثم توجه إلى الحمام ورفع قدمه النازفة إلى حوض الاغتسال وفتح عليها الماء، فتألم عندما مسّت الماء الباردة قدميه، وأغلق الصنبور عندما توقف النزيف.. جفف قدمه وأخرج من خزانة صغيرة بجانب الحوض ما ضمّد به جرحه، ثم عاد إلى المطبخ وأخرج من الثلاجة قنينة ماء وشرب، ثم ذهب وألقى بجسده فوق مكانه المفضل، أريكة الصالة.. أخذ يلتقط أنفاسه ويهدّأ من روع نفسه.

كانتْ أنفاسه مندفعة ومتلاحقة وكف يديه يرتجفان؛ فقد تأثرتْ أعصابه كثيرًا بما حدث.. شعر (عصام) بضيق كبير يجتاحه فدفن وجهه بين كَفيه وأخذ يبكي.. كان يبكي وحدته، ويبكي شعوره المؤلم بالفشل.. أحيانًا وببساطة إذا لم نبكِ نموت..

لم يعلم (عصام) وهو في تلك الحالة البائسة أنّ حياته كلها ستتغير وإلى الأبد بعد دقائق قليلة.

(٣)

بعد أن اكتفى من البكاء، مسح (عصام) وجهه المبتل من الدموع بأطراف بيجامته الكستور، ربما لم يعد أحد في هذا الزمن يرتدي الكستور سواه! وأثناء سيره تجاه غرفته لينام، توقف أمام مكتب والده، أدار مقبض الباب ودلف إلى داخله.

أنار ضوء الغرفة ووقف في منتصفها، تاركًا عينَيه تتجولان بين جنباتها، وأطلق صدره يستنشق عبق ذكرياته السعيدة.. لم يدخل (عصام) إلى مكتب والده هذا منذ عام تقريبًا؛ لأنّه كلما دخله خنقته تلك الذكريات التي كانتْ بينه وبين والده الذي يفتقد وجوده في حياته دائمًا أشد الافتقاد.

ألقى (عصام) بجسده فوق مقعد المكتب القديم.. أمسك بالصورة الموضوعة في إطار خشبي أمامه وأخذ يتأملها في حزن. كان في الصورة كل عائلته.. عائلتة التي لم يتبقى منها سوى صورة، فلا أحد منهم معه، ولا أحد يهتم له.

أعاد الصورة إلى مكانها، ثم فتح أحد أدراج المكتب وأخرج منه صندوقًا صغيرًا، كان صندوقًا قديمًا من خشب الصندل مزخرف بألوان باهتة ويعلوه التراب.. نفخ التراب من عليه ومسحه بيده كمن يمسح فوق رأس طفل يتيم.. وضع الصندوق على سطح المكتب، وفتحه ونظر إلى ما فيه.

تذكر (عصام) كيف كان والده يمنعه هو وإخوته من العبث بهذا الصندوق

بالذات لما يحتويه من أشياء خاصة وهامة لديه.. أخرج من الصندوق قطعًا من مصاغ المرحومة أمه، وبعض الصور القديمة لجده ووالده وأناس آخرون لا يعرفهم. وبين قطعة من حرير أحمر وجد (عصام) خاتمًا من فضة ذي فص كبير من العقيق الأخضر. التقط الخاتم بين أصابعه ورفعه أمام عينيه لينظر إليه عن كثب.. وتعجب كثيرًا لأنّه لأول مرة يرى هذا الخاتم، وتساءل في نفسه: «إذا كان ملكًا لأبي، فلماذا لم أره يلبسه أبدًا من قبل؟»، وبينما كان يفكر في هذا، وبلا وعي، أمسك (عصام) بقطعة الحرير وأخذ يمسح بها فص الخاتم الغريب.. وارتعب (عصام) أشد الرعب عندما بدأ الخاتم في الاهتزاز الشديد؛ فرماه من يده بعيدًا، وانكمش في مقعده مرعوبًا، وبعينين زائغتين أخذ يراقب ذلك الدخان الأبيض الكثيف الذي أحاط بالخاتم. ثم كاد قلبه أن يتوقف وتفككتْ أوصاله، عندما شاهد في الدخان جسد شخص يتكوّن، ثم برز من الدخان رجل أسمر نحيف متوسط القامة.. يرتدي ثيابًا هندية تقليدية وفوق رأسه عمامة ملفوفة.. دارتِ الدنيا في رأس (عصام) عندما تقدم إليه هذا الرجل ورفع كفيه مضمومتين أمام وجهه، وهز رأسه كما يفعل الهنود، وقال بمنتهى الثقة: «ناما ستيه.. كيسا هيه؟» (مرحبًا.. كيف حالك؟) باللغة الهندية.

ومن الرعب أظلمتِ الدنيا في عينين (عصام) وخرّ مغشيًا عليه..

(٤)

انتفض (عصام) من نومه وهبّ جالسًا، فوجد نفسه فوق فراشه.. أخذ يتلفتْ حوله في ذعر، ويتحسسّ جسده يبحث عن إصابات، ثمّ أطلق تنهيدة عميقة وقال في اطمئنان: «الحمد لله.. لقد كان مجرد كابوسًا مخيفًا.. الحمد لله!». ولكنّه عاد وانتفض مذعورًا، واصفر وجهه من الخوف كحبة ليمون، عندما وصلتْ أذنيه أصوات قهقهة عالية تأتي من الخارج!

الصوت يأتي من الصالة.. هتف (عصام) بصوت خفيض. ثم تحرك صوب خزانة الثياب مسرعًا، وأخرج منها مسدس والده القديم، وكما نعلم فهذا المسدس لا يعمل وبلا ذخيرة، ولكن سيخيف به صاحب الكركرة الوقح الجالس في قلب منزله.

خرج من غرفته يمشي على أطراف أصابعه، ماددًا أمامه يده المرتعشة الممسكة بالمسدس.. اقترب من الصالة وصاحب الضحكات لم يتوقف عن الضحك. مدّ رأسه من خلف الجدار يستطلع؛ فشاهد الرجل الغريب يجلس في مكانه المفضل فوق الأريكة، يشاهد في التلفاز مسرحية «العيال كبرتْ»، ويضع أمامه فوق المنضدة كل الفاكهة التي كان (عصام) قد اشتراها بنفسه بالأمس وهو عائد من العمل.

كان الغريب يأكل بنهم كبير ويلقي بقشر الموز والبرتقال الذي يأكله في كل اتجاه بلا مبالاة.. يا لوقاحته! غمغم (عصام)، ثم استجمّع شجاعته، وقفز بخطوة واحدة في الصالة مصوبًا مسدسه العتيق صوب رأس الدخيل

وصاح في شجاعة: «أيّ حركة حضرب في المليان».

اختفى الرجل من مكانه.. اختفى فعليًا كأنّه لم يكن هناك منذ ثانية واحدة من الأساس!

للحظات وقف (عصام) مرعوبًا ينظر بدهشة وبلاهة إلى الأريكة الفارغة حيث كان الدخيل يجلس، ثم أخذ يتلفتْ يمنةً ويسارًا في ذعر يبحث عنه بعينيه، وفجأة وجده يقف خلفه! فاستدار فزعًا وتراجع يحاول الابتعاد عنه؛ فاصطدم بإحدى الكراسي وسقط بعنف على الأرض، وخبط دون قصد المنضدةَ الصغيرة بجوار المرآة، فسقطتِ المزهرية الكبيرة التي كانتْ عليها فوق رأسه وتحطمتْ؛ فغاب عن الوعي.

***

شعر (عصام) بصداع رهيب يشقّ رأسَه شقًا؛ فمدّ يده يتحسس مكان الألم منها. كان لا يستطيع فتح عينيه. حاول أن يتذكر ما حدث، وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة. وفجأة تذكر كل شيء.. الخاتم.. الدخان.. الرجل الهندي المخيف.. الضحك.. الصالة.. الرجل المخيف مرة أخرى.. المزهرية تسقط فوق رأسه.. فتح عينيه عن آخرهما دفعة واحدة، فوجد نفسه في غرفته فوق فراشه. أراد أن يتحرك فوجد نفسه مربوطًا بحبلٍ غسيلٍ، ملفوفًا حول كامل جسده.. حاول جاهدًا أن يُخلّص نفسه منه ولكنَ دونً فائدة.

شعر بخوفٍ عظيم عندما دلف إلى غرفته؛ ذلك الرجل الهندي الغريب، ممسكًا في يده طبق أرزٍ بلبن يأكله في نهمٍ وهو في منتهى السعادة والرضا!

انتفض (عصام) رعبًا وصاح فيه: «من أنت؟ وماذا تريد مني؟ ولماذا قيدتني هكذا؟». ولكن الرجل تجاهله تمامًا واستمر يأكل الأرز باللبن في شراهة، ثمّ رمى بالطبق والمعلقة جانبًا في لا مبالاة، وقال وهو يمسح بكفه على بطنه: «هذا الأرز باللبن بالفعل جِدّ شهي.. أنا لم آكل مثله منذ خمسين عامًا».. ثمّ أشار بيده إلى مقعد خشبي قريب فتحرك المقعد نحوه، فأخذه وجلس قبالة (عصام) الذي كان ينتفض رعبًا فوق فراشه.

«لا تخف يا عصام.. أنا لن أؤذيك.. على الأقل الآن»، قال الغريب هذا ثمّ انفجر مقهقهًا وهو يخبط بكفيه على فخذيه.

كان (عصام) يرمق بغضب الطبق المُلقى على أرضية غرفته والملعقة.. فلاحظ الرجل الغريب نظراته الغاضبة؛ فقال في لا مبالاة: «لا تشغل بالك بالطبق.. لن يذهب إلى أيّ مكان أؤكد لك هذا»، ثم ضحك وضرب بكفيه على فخذيه مرة أخرى، وتابع: «لقد قيدتك بهذه الحبال كي لا تؤذي نفسك كما فعلتَ منذ قليل».

استجمع (عصام) شجاعته وصاح فيه بغضب: «أنت.. من أنت؟ وماذا تفعل في شقتي؟ ولماذا تأكل طعامي؟ وبمنتهى الوقاحة تلقي بقشر الفاكهة والطبق والملعقة المتسخة على الأرض التي نظفتها منذ قليل؟». ثم أخذ ينتفض يحاول أن يفك قيوده، وتابع: «ولماذا تقيدني بهذا الشكل؟ وما هذه الثياب الغريبة التي ترتديها؟ هل أنت هندي؟ ولماذا يـ...».

قاطعة الغريب وهو يقول في هدوء: «اهدأ يا رجل.. تورا تورا..».

– تورا تورا؟

– يعني شويّ شويّ بالهندية.. هيا اهدأ والتقط أنفاسك.. كيف لي أن أجاوبك على كل تلك الأسئلة دفعة واحدة؟ اهدأ وتنفس.. شهيق.. زفير.. شهيق..

ثم وقف الرجل على قدميه، وقال وهو يهز رأسه ويحييه بتحريك كفيه المضمومتين أمام وجهه: «أولًا أحب أن أعرفك بنفسي.. ميرا نام مرجان.. يعني أنا اسمي مرجان.. مرجان بن بهمان بن سعدان بن سرحان بن حمدان بن.. ولو عندك وقت أكملٍ لك اسم باقي العائلة حتى الجد الخامس والستون». ثم انفجر ضاحكًا وضرب على فخذه بكف يده في بلاهة، و(عصام) يرمقه بعينين منتبهتين متوجستين كطائر دوهم في خميلة.

تابع (مرجان): «أنا جنيّ من قبيلة دهمان»، قالها بمنتهى الفخر.

دارتِ الدنيا في عين عصام عندما سمع كلمة «جني»، وكاد قلبه أن ينفجر من قوة ضرباته؛ فغاب عن الوعي مرة أخرى.

(٥)

انتفض (عصام) من غيبوبته عندما (ألقى) مرجان بالماء البارد على وجهه، وأخذ يصرخ في رعب: «الحقوني.. الحقوني.. عفريت.. عفريت..». فارتعب (مرجان) وقفز من مكانه كأنّ حيّات تجري على الأرض تحت قدميه، اعتلى الكرسي وأخذ يبحث في خوفٍ عمّا حوله وهو يصرخ بدوره: «عفريت.. أين.. أين العفريت؟»، ثم قفز فوق الفراش والتصق بـ (عصام) يحاول أن يحتمي بجسده. فصرخ (عصام) وابتعد بجسمه يحاول أن يفر منه دون جدوى؛ فهو ما زال مقيدًا بالحبال. حاول (عصام) دفعه بعيدًا، و(مرجان) يلتصق به أكثر وهو يسأله مذعورًا: «أين؟ أين العفريت؟».

صرخ (عصام) فيه: «أنت.. أنت العفريت».

نزل (مرجان) من فوق الفراش وانتصب واقفًا على قدميه وهو يضحك بصوتٍ مرتفع ويقول: «حرامٌ عليك يا رجل.. لقد كدتُ أن أبول على نفسي عندما صرخت كفتاة مراهقة: عفريت.. عفريت.. (وقلّد صوت عصام ساخرًا) أنا لستْ بعفريتٍ يا أفندي أنا جِني».

عندما سمع كلمة جِني شعر (عصام) برأسه يدور وكاد أن يغيب عن وعيه مرة أخرى، لولا أن بادره مرجان بصفعة قوية على وجهه، وهو يصيح فيه بحزم: «لا! (وأمسكه من ياقة بيجامته الكستور) أوَ كلما قلتُ لك أنني جِني يغشى عليك؟ أفق وتحدث إليّ..».

بكى (عصام) وارتجف، وقال بصوتٍ مخنوق: «ماذا تريد مني يا رجل؟ ولماذا أنا من بين كل البشر تظهر لي؟».

جلس (مرجان) فوق المقعد الخشبي، وقال في هدوء وهو يلوّح بيديه في الهواء: «أنا لم آتِ إليك من نفسي.. أنت من استدعيتني».

صاح (عصام) مستنكرًا: «أنا.. أنا استدعيتُك؟».

استطرد (مرجان) في ثقة: «نعم، أنت الذي استدعيتني عندما مسحتَ على هذا الخاتم»، وأشار بسبابة يده اليسرى نحو شيءٍ ما على المنضدة بجوار الفراش.

نظر (عصام) نحو ما يشير إليه (مرجان)، فوجد ذلك الخاتم الفضي ذا الفصّ الكبير من العقيق الأخضر الذي أخرجه من صندوق أبيه.

فأعاد عينيه تجاه (مرجان)، وقال له في بلاهة: «لا أفهم منك أي شيء!».

قال (مرجان) وهو يشير إلى نفسه في فخر: «أنا مرجان بن بهمان من قبيلة دهمان خدم الخاتم.. وأنت استدعيتني فأتيتُ إليك»، ثمّ جرّ الكرسي بجسده مقتربًا من (عصام) وقال له: «وكما يقولون في الأفلام: شُبيك لُبيك عبدك وبين يديك».

حاول (عصام) جاهدًا أن يفهم هذا الكلام الذي سمعه، وتحجّر لسانه في فمه من جفاف ريقه وخوفه.. لملم شتات نفسه، ونظر إلى (مرجان) يتفحصه بعينيه، فإذا هو رجل في منتصف الأربعينات من عمره.. متوسط القامة، قمحي البشرة، شعره رماديّ كثيف مجعد يختفي معظمه تحت عمامة من قماش

ذات لونين أصفر وأحمر، وعيناه سوداوان غائرتان في جمجمته الصغيرة، وله أنف كبير وفم دقيق.. يرتدي ملابس ملونة كما يلبس الهنود، وفي قدميه صندلًا بنيّ اللون من جلد قديم باهت اللون.. يبدو كرجل عادي رقيق الحال، ما جعل (عصام) يشك في أنّه بالفعل جنيّ.. ويبدو أنّ (مرجان) كان يقرأ أفكاره؛ فضحك ساخرًا، وقال له في ثقة: «لا تجعل المظاهر تخدعك.. فأنا بالفعل جنّي ولستُ أكذب عليك».

قال (عصام) في ريبة: «حسنًا أُصدقك، ولكن فك قيودي الآن».

فرقع (مرجان) بسبابته وإبهامه فاختفتِ الحبال. فزع (عصام)، وأخذ يتحسس بكفيه مكان الحبال. فابتسم (مرجان) ابتسامة ساخرة، وقال في تباهٍ: «ها.. هل صدقتَ الآن؟».

نزل (عصام) من فوق فراشه، وفي تردد مد إصبعه إلى بطن (مرجان) بحذرٍ ليتأكد من أنّ وجوده حقيقة وليس وهمًا من صنع خياله. ولكن ما إن لمس بطن (مرجان) حتى جفل الأخير وانتفض يضحك وهو يقول: «لا لا أشعر بدغدغة من هذا المكان». وعاد (عصام) يتحسس جسد (مرجان) لا يصدق أنّه بالفعل موجود أمامه.

هتف (عصام) في دهشة: «أنت حقيقي بالفعل، وأنا لم أجنّ ولستُ أحلم؟».

قال (مرجان) مؤكدًا: «بالتأكيد أنا حقيقة مثلما ترى».

سأله (عصام): «وأنت جنيّ بحق، وتستطيع أن تحقق كل أمنياتي؟».

قال (مرجان) وهو يعد على أصابعه: نعم أنا جنيّ، وعمري ثلاثمائة وعشرون سنة وشهرين وثلاثة أسابيع وخمسة أيام.. لكن ليس كما تقول إنّني أستطيع أن أحقق لك كل أمنياتك».

قاطعه (عصام) قائلًا: «نعم نعم أعرف ما تقصد، لقد شاهدتُ ذلك في أحد الأفلام من قبل، لا تستطيع أن تحقق لي الأماني المرتبطة بالحياة والموت والحب وهكذا...».

قاطعه (مرجان): «نعم وأشياء أخرى مثل الـ...». فلم يتركه (عصام) يُكمل كلامه وهتف في حماس: «نعم نعم أعرف..». ثم أخذ يقهقه بصوتٍ مرتفع وهو يقفز في مكانه كطفل، ويُصفق كأبله وهو يتخيل الأشياء التي سيتمناها وسيحققها له هذا الجنيّ. أمسك (مرجان) من كتفه، وقال له وعيناه تلمعان من السعادة والأمل: «أنا أريد أشياء كثيرة! أريد أن أفعل أشياء كثيرة.. ولكن صحيح، أنا من حقي كم أمنية؟ إيّاك أن تقول ثلاث».

– لا على راحتك؛ طالما الخاتم معك فأنا معك.

– الله أكبر! يبدو أنّ الحظ أخيرًا قد عثر على عنواني.. لكن دعني أختبرك في البداية.. هل رأيت فيلم لص بغداد؟ (سأله عصام).

جاوبه (مرجان) بابتسامة: «بالطبع إنّه فيلمي المفضل».

قال (عصام) وقد ارتسمت الجدية على ملامحه: «جميل.. أريدك أن تحضر لي مقلاة بها سجق مقلي.. فأنا أعشق السجق كثيرًا».

قال (مرجان): «نعم، أنا أعرف عنك كل شيء، سجق؟ هذا فقط». ثم

انحنى باحترام، وقال: «أمرك مُطاع».

وفجأة اختفى (مرجان) من أمام ناظر (عصام) الذي ذعر وأخذ يبحث عنه في الغرفة غير مصدقًا لما حدث ويحدث. وفجأة عاد (مرجان) وبيده صينية كبيرة فوقها مقلاة بها السجق المقلي والزيت ما زال يغلي، وعدد أرغفة من الخبز مقطعة إلى أرباع، وطبق به شرائح الخيار والطماطم، وكوبٌ زجاجيٌ فارغ وقنينة ماء باردة.. فرقع (مرجان) بإصابعه فظهرتْ طاولة صغيرة عليها مفرش أخضر، وضع عليها الصينية بما فيها. ومدّ يده فتحرك الكرسي الخشبي، أخذه ووضعه بنفسه لـ (عصام) الذي جلس عليه مذهولًا مندهشًا لا يصدق ما يراه، والسعادة تكاد أن تقفز من عينيه.

جلس (عصام) وأخذ يتناول الطعام في نهم، وهو يقول فرحًا لـ (مرجان): «حتى الآن لا أصدق ما يحدث.. لا أصدق!».

قال له (مرجان) في ثقة تامة: «يجب أن تصدق.. واصبر سترى مني عجبًا».

صبّ (عصام) الماء في الكوب وتجرعه دفعة واحدة، ثم عاد ليُكمل طعامه وهو يقول لـ (مرجان): «هذا السجق بالفعل شهيّ، ولكن طعمه مثل طعم السجق الذي أشتريه كل ليلة من عم عبادة الجزار، صاحب المتجر بالشارع خلفنا».

قال له (مرجان) في براءة: «وهو بالفعل من عند عمك عبادة القصاب، صاحب المتجر خلف المنزل».

قال (عصام) وهو يلوك الطعام في فمه بشراهة: «نعم، ولأنّك تعلم عنّي كل شيء، وعندما طلبتُ منك السجق، ذهبتَ كالريح وأحضرته من متجر عم عبادة؛ لأنّك تعرف أنني أحب السجق الذي يصنعه.. صحيح؟».

هز (مرجان) رأسه نافيًا، وقال: «لا.. أنا فقط أحضرتُه من المطبخ، هل نسيت؟ أنت اشتريتَ منه بالأمس كيلو سجق».

قضب (عصام) ما بين حاجبيه مستنكرًا، وهَمّ أن يقول شيئًا ما، ولكنه لم ينطق لأنّ (مرجان) قاطعه متسائلًا: «ها.. أأعجبك السجق الذي طهوته لك بيدي هاتين؟».

هزّ (عصام) رأسه في رضى تام، وقال وهو يلتهم آخر قطعة من السجق: نعم أنت تطهوه أفضل مني بكثير، ولا بُد أن تخبرني عن الوصفة». أنهى (عصام) طعامه، ثم التقط منديلًا ورقيًا مسح به يديه وفمه، ثم قال لـ (مرجان) في جديّة: «والآن ارفع الصينية». فرقع (مرجان) بإصبعيه فاختفتِ الطاولة بما عليها.

وقف (عصام) على قدميه وعلى وجهه كانتْ ترتسم معالم الدهشة والرهبة، ثم قال لـ (مرجان) وهو يتصنع الحزم: «الآن وقت الجد.. أريد أن أطلب منك أمنية أخرى».

قال له (مرجان) وهو ينصب مرفقيه بمحاذاة صدره شامخًا: «شُبيك لُبيك.. عبدك وبين يديك.. اطلب تجاب».

قال (عصام) وهو يفرك كفيه في سعادة، وعيناه تلمعان من الفرح: «أريد،

أريد أموالًا كثيرة، كثيرة جدًا.. أنا أريد عشرة.. عشرين مليون جنيهًا، أقصد ثلاثين مليون دولار، وأريدك أن تضعهم في حقيبة سفر».

هزّ (مرجان) رأسه مستنكرًا، وقال في تساؤل: «ثلاثون مليون دولار؟ ومن أين آتِ لك بثلاثين مليون دولار؟ هل قال لك أحدهم أنّني مدير صندوق النقد الدولي؟».

اغتم (عصام) وقال متلعثمًا: مـ مِن أين؟ لا أعرف مِن أين.. من بنك أو من خزانة ملياردير، لا أعرف.. صراحة أنت فاجأتني كثيرًا بهذا السؤال».

هتف (مرجان) مستنكرًا: من بنك أو من خزانة ملياردير؟ هل أبدو لك كحرامي خزن أم ماذا؟».

حاول (عصام) أن يستوعب كلام (مرجان) في عقله دون فائدة؛ فصاح بدوره مستنكرًا: «حرامي خزن؟ لا أقصد بالطبع.. لقد ظننتُ مثلما نشاهد في الأفلام، أنا أطلب المال وأنت بدورك كجنيّ تجعله يتساقط كالمطر من السقف، أليس هذا ما يحدث؟».

جلس (مرجان) على المقعد بجواره، وأخذ يقهقه بصوتٍ عالٍ وهو يقول: «بئسًا للأفلام الرخيصة التي عطبتْ عقولكم يا بني آدم.. لا يا صديقي، هذا يحدث فقط في السينما.. وأنا لم أخدعك، لقد قلتُ لك منذ البداية أنّ هناك أمنيات لا أستطيع تحقيقها».

صاح فيه (عصام): «أمنيات لا تستطيع تحقيقها؟ إذًا والسجق؟».

قال له (مرجان) مبتسمًا وقد وضع رجلًا فوق رجلٍ: «السجق؟ السجق

كان بالمطبخ وكل ما فعلته هو أنني ذهبتُ وطهوته وقدمته لك».

انهار(عصام) مرتميًا على فراشه، وهو يحدّق في ذلك الجنيّ الجالس أمامه والذي لا يقدر على فعل شيء سوى أن يطهو له بعض قطع من السجق المقلي!

***

«صراحة أنا لا أفهم .. إذًا ماذا سأفعل بك الآن؟» سأل (عصام) في استنكار.

رد عليه (مرجان) مبادلًا إيّاه نفس الاستنكار: «ماذا تعني بقولك ماذا سأفعل بك الآن؟ ما هذا الأسلوب يا عصام أفندي؟ هل أنا دمية أو كلب (شيواوا) اشتراه لك والدك رحمة الله عليه في عيد ميلادك؟ أتمنى أن نراقب ألفاظنا قليلًا!».

– بغض النظر.. ما الذي استفدته أنا منك الآن؟

– ما زلتَ مُصرًا على إهانتي وتحقيري.. ألا تراعي مشاعري وأحاسيسي؟».

– مشاعرك وأحاسيسك؟

– نعم مشاعري وأحاسيسي.. هل تظن يا أفندي أنّ بني آدم فقط هم وحدهم من يملكون المشاعر؟ نحن أيضًا لدينا مشاعر وأحاسيس مثلكم تمامًا بل وأكثر.

– حسنًا طالما هذا هو الوضع، ومراعاة مني لمشاعرك وأحاسيسك

المرهفة، تفضل يا أخ مرجان انصرف.

– أنصرف؟

– نعم تفضل وبدون مطرود انصرف.

– هل تظن أنّ الأمر يحدث هكذا ببساطة؟ انظر يا عصام أفندي، طالما أنّ الخاتم معك فلا يمكن أن أنصرف.

– طالما الخاتم معي لن تنصرف؟

– نعم.

ما إن قال (مرجان) هذا حتى ذهب (عصام) مسرعًا إلى حيث الخاتم، والتقطه من فوق المنضدة، وفتح نافذة من نوافذ غرفة النوم، وألقاه عبرها بكل قوته إلى الشارع، واستدار إلى (مرجان) وقال وهو ينفض يديه: «حسنًا ها هو الخاتم لم يبقَ معي.. تفضل حضرتك انصرف».

ابتسم (مرجان) ابتسامة صفراء أغاظتْ (عصام)، وقبل أن يسأله عن سر تلك الابتسامة السخيفة، نظر إلى كف يده اليمنى حيث ينظر (مرجان)، فوجد الخاتم في إصبعه البنصر.

قال (مرجان): «مشكلتك يا عصام أفندي أنّك لا تستوعب ما يحدث، ولكنك ستفعل سريعًا».

امتقع وجه (عصام) وأشار إلى الخاتم في يده، وقال متلعثمًا: «ألم ألقي بهذا الخاتم إلى الشارع؟ فكيف عاد ثانية ودخل في إصبعي؟».

جلس (مرجان) فوق المقعد، ورفع رجليه على الفراش قبالته وقال في هدوء: «أنتَ طلبتَ الأمنية الأولى.. السجق.. أتذكر؟ ومن أجل هذا قد صار بيني وبينك عقد، وطالما تحتاجني فلن أفارقك وإن لم ترِدني.. لكن إذا أصبحتَ تريديني ولكن لا تحتاجني، وقتها سيحين وقت انصرافي».

هزّ (عصام) رأسه يمينًا ويسارًا كأنّه يُقلّب الكلام في رأسه يحاول أن يفهم ما قاله (مرجان)، ثم سأله: «ماذا.. ماذا تقول؟».

رفع (مرجان) كتفيه صعودًا وهبوطًا، ومطّ شفتيه الدقيقتين وقال: «لا، لن أستطيع إعادة ما قلته مرة أخرى؛ فأنا قد حفظتُ تلك الجمل من أحد الأفلام بصعوبة شديدة، ولا أقولها إلا لمرة واحدة».

هتف (عصام) مستنكرًا: «وأنا ما الذي سأحتاجه منك يا بني آدم أنت؟».

– بني آدم! لماذا إذًا قلة الأدب؟ أهو أنت البني آدم.. أنا جنيّ».

– بالله عليك ألا تشعر بالخجل وأنت تقول على نفسك جنيًا؟ أنا جنيّ.. أنا جنيّ.. أنت الذي آخرك أن تقلي قطعتين من السجق؟».

انتفض (مرجان) ووقف على قدميه، وقال لـ(عصام) في غضب: احذر.. أنت تقلل من شأني، وأنا الذي يقلل من شأني أقلل من شأنه.. احذر مني فأنا قادر على إيذائك!».

انفجر (عصام) ضاحكًا، وقال وهو يشير بيده إلى (مرجان) في سخرية: أنت.. أنت تؤذيني يا طاهي السجق!».

هنا استشاط (مرجان) غضبًا، واحمر وجهه على نحوٍ مخيف، وأخذ حجمه

يتضاعف، وبينما هو يزمجر انطلقتْ عاصفة شديدة كزوبعة داخل غرف نوم (عصام)؛ الذي كاد أن يموت رعبًا عندما رأى (مرجان) على تلك الحالة. أخذ أثاث الغرفة في التحرك والدوران كأنّه في قلب إعصار، و(مرجان) يتضخم حجمه على نحوٍ لا يكاد للغرفة أن تحتويه، وقال في صوتٍ عميق مخيف: «عصام يا ابن رشدي وأمينة.. لقد حذرتك ولم تسمع.. سأريك الآنَ ما الذي يمكنني فعله».

تحرك (مرجان) كالإعصار صوب (عصام) الذي أغلق عينيه ورفع يديه فوق رأسه ليحمي نفسه، وفجأة هدأ كل شيء. فتح (عصام) عينيه بحذر، وصُعِق عندما وجد نفسه فوق ظهر تمثال أبي الهول في الجيزة. أخذ يجري يمينًا ويسارًا وهو يصرخ كالمجنون: «الحقوني! أنجدوني..». وفجأة ظهرتْ فوق رأسه سحابة سوداء رغم أنّ السماء كانتْ زرقاء صافية، وسقط من تلك السحابة التي كانتْ تشتعل بالبروق والرعود؛ العديد من الصواعق التي كادتْ أن تصيبه، وهو يركض ويثب من الرعب والخوف لا يعرف إلى أين يذهب، حتى ضربته صاعقة في أم رأسه فخرّ مغشيًا عليه.

(٦)

انتفض (عصام) من نومه شاهقًا بصوتٍ مرتفع مذعور، فوجد نفسه فوق فراشه في غرفة نومه. أخذ يتحسس رأسه يبحث عن مكان إصابته فلم يجد شيئًا. ولكنه عاد وانتفض خائفًا عندما وجد (مرجان) جالسًا أمامه على المقعد، يتطلع إليه في هدوء تام.

«ألم أقل أنّني قادر على إيذائك؟» قال (مرجان).

لم ينطق (عصام) ولو بكلمةٍ واحدة، فتابع (مرجان): «هيا قُم يا حبيبي من فراشك، وارتدي ثيابك سريعًا حتى لا تتأخر عن عملك؛ فالساعة الآن السادسة صباحًا».

نظر (عصام) إلى المنبه على الطاولة بجوار فراشه، فوجد عقاربه تتوقف عند السادسة تمامًا. وانتفض فزعًا عندما رن المنبه، رغم أنّه كان ينظر إليه ويتوقع رنينه، فقام مسرعًا من الفراش وأخرج بعض الثياب من الخزانة، وارتداها في سرعة رهيبة، حتّى أنّه حمل الحذاء في يده وهو خارج من شقته ليرتديه على السلم.. وظل (مرجان) واقفًا عند الباب يودعه بيديه ويقول له: «ترجع بالسلامة يا حبيب قلبي.. مع ألف سلامة». ثم دخل وأغلق الباب من خلفه، بينما كان (عصام) يهرول على السلم، وكاد أن ينزلق على درجاته أكثر من مرة.

***

في «الميكروباص».. كان (عصام) يجلس متوترًا بجوار النافذة، وركبتاه تهتزان في عصبية ملحوظة، ينظر بفزع إلى الخاتم في كفه ويشعر بالاختناق؛ كأنّه حبل مشنقة يلتف حول عنقه لا إصبعه. نزع الخاتم من إصبعه وألقاه عبر النافذة، ثم نظر إلى كفه فوجد الخاتم قد عاد مكانه، فأخذ يخبط بيديه على فخذيه في عصبية، ولا يدور في عقله إلّا التفكير في طريقة تُخلِّصه من هذا الخاتم الملعون وخادمه المجنون.

قطع تفكير (عصام) صوت راكب من الخلف يمدّ له يده بجنُيهين أجرة الركوب، ليوصلهم لمن أمامه ففعل، ويد أخرى امتدتْ وصوت امرأة مسنة تقول: «خذ يا بني نفرين»، بالطبع تقصد أجرة ركوب فردين، فأخذ (عصام) النقود من يدها وأوصلها لمن أمامه، وقال له: «نفرين». وعاد إلى تفكيره، فقاطعه الراكب الستيني بجواره وسأله في قلق: «ماذا بك يا بني؟ هل تشتكي من شيء؟».

رد عليه (عصام) في ضجرٍ: «خيرٌ؟ ماذا بي يا حاج؟».

قال الرجل في شفقة: «منذ قليل أخذتَ تمعن النظر في كفك، وفعلتَ كأنّك تنزع شيئًا من إصبعك وتلقي به من النافذة، ثم عدتَ مرة أخرى تحملق في كفك! وكررتَ هذا الفعل أكثر من مرة!».

هتف (عصام) وهو يرفع كفه أمام وجه الرجل ليريه الخاتم الكبير بين أصابعه: «ماذا؟ ألا ترى هذا الخاتم الملعون في إصبعي؟».

أجابه الرجل وهو يربتُ على فخذه في شفقةٍ بالغة: «سلامتك يا بني.. عن أي خاتم تتحدث؟».

«الخاتم يا حاج.. هذا الخاتم»، صاح (عصام) وهو يكاد يضع الخاتم في عين الرجل.

«لا يوجد بين أصابعك أيّ خواتم»، قال الرجل، ثم تابع: «كما أنّك كنتَ تُخرج الأموال من جيب قميصك، وتعطيها للرجل أمامك، وتارة تقول له خذ أجرة نفر، وتارة تقول خذ أجرة نفرين؟». ثم قرب رأسه من أذنه، وقال هامسًا: «ماذا بك يا ولدي؟ صارحني؛ أنا مثل والدك».

هتف (عصام) في قرف: «هذه أجرة الناس الجالسين وراءنا؟».

خبط الرجل كفًا على كفٍ، وقال وهو يكاد يبكي عليه حزنًا: «أي ناس يا بني؟ نحن نجلس في آخر الميكروباص». نظر (عصام) على الفور خلفه، وتحقق من صدق الرجل بأنّهم يجلسون بالفعل في آخر الميكروباص.. لا أحد بالخلف! غمغم (عصام) وهو مندهش من نفسه. وشعر بإحراج قاتل عندما وجد كل راكبي الميكروباص ينظرون إليه؛ حتى السائق كان ينظر إليه في المرآة! بعضهم ينظر إليه بشفقة، وآخرون ينظرون إليه بخوفٍ يظنونه مجنونًا أو متعاطيًا للمخدرات.. بعضهم يمصمص شفتيه في أسى، وبعضهم يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يعين الشباب!».

نادى (عصام) بصوتٍ مبحوحٍ على السائق يطلب منه التوقف جانبًا. ونزل مسرعًا وأخذ يهرول مبتعدًا عن «الميكروباص»، ولكن قبل أن يختفي في أحد الشوارع الجانبية المزدحمة، التفتَ (عصام) إلى «الميكروباص» حيثُ كان يجلس الرجل الستيني، فوجد (مرجان) مكانه يضحك منه في سخرية ويشير إليه بكف يده مودعًا.. ثم لم يمشِ سوى خطوتَين حتى صدمه أحد

المارة صدمة قوية بكتفه. صدم (عصام) ثمّ لم يلتفتْ إليه واستمر في طريقه، فالتفتَ إليه (عصام) فوجده (مرجان) فركض وراءه ووضع يده على كتفه، وهتف: «عيب عليك يا مرجان!»، فإذ هو شاب عشريني ضخم مفتول العضلات، التفتَ إلى (عصام) غاضبًا واستعد أن يسدد له لكمة في وجهه، إلّا أنّ (عصام) اعتذر له بشدة، واستمر في طريقه وهو يطلق السباب.

فكر (عصام) في أنّه قد أصبح مجنونًا وأنّه ليس هناك من جنيّ، أو أنّ هناك جنيّ يصر على أن يجعل منه مجنونًا.

(٧)

كلّ ما كان يفكر فيه (عصام) وعم (أحمد) الفرّاش يضع كوب الشاي أمامه فوق مكتبه، أنّه حتمًا قد أصيب بالجنون، وأنه لا وجود لخاتم ولا لجني ولا لأي شيء.. حياة الوحدة والملل قد أصاباه بخلل عقلي. وبينما كان مستغرقًا في تفكيره هذا، لم يشعر بـ (نجلاء) الواقفة أمامه تتطلع إليه. «عصام.. عصام..» نادته (نجلاء).

فتنبه لوجودها وقال مرتبكًا: «آآنسة نجلاء.. أأهلا وسهلا صباح الخير».

– صباح النور.. ما بك يا أستاذ عصام؟ لقد بقيتُ أمامك أكثر من خمس دقائق، وأنادي عليك وأنت لستَ هنا!

– عذرًا سامحيني.. فقط أشعر بإرهاق.

– بالفعل يبدو عليك الإرهاق، كأنّك لم تذق النوم البارحة قط.

– بالفعل هذا ما حدث.

جلستْ (نجلاء) على المقعد أمام مكتبه، وقالتْ في جدية: أستاذ منير يسألك إذا ما انتهيت من مراجعة الميزانية أم لا؟

جمع (عصام) عدة ملفات من أمامه ومدّ بها يده إلى (نجلاء)، وقال: «نعم، انتهيتُ منها بالأمس.. فقط كنتُ أراجعها للمرة الأخيرة.. تفضلي».

مدتْ يدها وأخذتهم منه، وقالتْ في حماس: «صراحة.. جديتك في

العمل يضرب بها المثل يا أستاذ عصام، إنسان دقيق وماهر في عملك إلى أقصى الحدود، كما أنّك إنسان مؤدب ومحترم».

ارتبك (عصام) لهذا المديح، واحمرتْ وجنتاه خجلًا، وقال متلعثمًا: «أشـ أشكرك يا آنسة نجلاء، ه هذا من ذوقك الراقي».

ضحكتْ (نجلاء) لارتباكه وخجله الذي لا يليق برجل بالغ في مثل عمره. وذاب قلب (عصام) لضحكتها، وترك عينيه تسرح في زيتونتيها اللامعتين.. فارتبكتْ (نجلاء) وتنحنحتْ عندما وجدته يُحدّق فيها، وسألته في خجل: «عدتَ لشرودك مرة أخرى يا أستاذ عصام؟.. أستاذ عصام..».

تنبه (عصام) وقال في توتر: «نعم نعم أنا معك..».

وقفتْ (نجلاء) والتفتتْ نصف التفاتة كأنّها تهم بالانصراف، ثم عادتْ واعتدلتْ قائلةً لـ (عصام): «جميل هذا الخاتم.. أول مرة أراك ترتديه». ثم التفتَتْ وانصرفتْ.

قام (عصام) سريعًا من مكتبه، ولحق بـ (نجلاء)، استوقفها وسألها: «أستاذة نجلاء لحـ لحظة واحدة..». فوقفتْ، فرفع كفه أمام وجهها وسألها في اهتمام: «هل تقصدين هذا الخاتم؟».

ضحكتْ (نجلاء)، وقالتْ: «طبعًا.. وهل ترتدي غيره؟ إنك بالفعل تحتاج لإجازة يا صديقي». ثم خرجتْ من المكتب تاركةً (عصام) متجمدًا في مكانه، وما زال رافعًا كفه أمام وجهه ينظر إلى الخاتم.. ثمّ صكّ على أسنانه بقوة، وصرخ في حنق مكتوم: «مرجان.. يا أنا يا أنت يا مرجان!!!».

(٨)

فتح (عصام) باب الشقة ودلف إلى داخلها بهدوء يمشي على رؤوس أصابعه.. ولكن ما هي إلا خطوات حتى تجمد في مكانه يتطلع بدهشة إلى ذلك الجنيّ الكهل الجالس فوق أريكته المفضلة أمام التلفاز، يشاهد مسلسلًا هنديًا مدبلجًا باللغة العربية وباللكنة السورية، ويبكي بكاءً شديدًا متأثرًا لما يشاهده من دراما هندية، واضعًا أمامه على الطاولة كومة كبيرة من المناديل الورقية، يجفف بها دموعه التي لا تنقطع. أخذ (عصام) يبدل نظره ما بين المسلسل في التلفاز والجنيّ الذي يبكي كطفل ويجفف دموعه ويُلقي بلا مبالاة بالمناديل فوق المنضدة. انتبه (مرجان) لوجود (عصام)؛ فحاول إخفاء دموعه، فبادره (عصام) بالسؤال مندهشًا: «أتبكي يا مرجان؟».

– نعم أبكي.. أنا رجلٌ لا يخفي مشاعره.. هل تظنني بلا قلب؟

– أنت.. أنت لديك قلب؟ أشك.

– بالطبع لدي قلب، هل تظنني بني آدم؟

– والذي فعلته معي في الميكروباص وفي الشارع هو أكبر دليل على ذلك!

– ميكروباص.. عن أيّ ميكروباص تتحدث؟

لم يجبه (عصام)، ولكن حدق فيه بغيظ وحنق. فانفجر (مرجان) ضاحكًا، وقال: «يا رجل.. كنتُ أمزح معك.. صدقني لو كنتَ مكاني ورأيتَ كيف كان منظرك لمت من الضحك.. مثلي..» ودخل في نوبة من القهقهة، وهو

جالس أخذ يضرب الهواء بقدميه كالأطفال.

ودّ (عصام) وقتها أن لو أطبق بيديه على عنق هذا الجنيّ العلج، وعندها لن يفلته إلا وقد أزهق آخر أنفاسه.. وتخيل نفسه وهو يفعل هذا، ولكن هذا الخيال تبدد عندما صاح فيه (مرجان) بسحنته الغاضبة: «لن تقدر!!».

تلعثم (عصام) وهو يقول: «لـ لن لن أقدر على ماذا؟».

«لن تقدر أن تخنقني لا بيديك ولا بيد مئة بني آدم مثلك..» هتف (مرجان)، وقبل أن ينطق (عصام) بأيّة كلمة، تابع (مرجان) وهو يشير إليه بيده محذرًا: «نعم.. أستطيع أن أقرأ أفكارك.. أو بالأدق أنا أشاهدها كما أشاهد الصورة في هذا التلفاز.. والآن اذهب وافتح الباب». وقبل أن يسأله (عصام) ولماذا أفتح الباب؟ رن الجرس؛ فقفز (عصام) في مكانه مفزوعًا، وذهب مسرعًا ليفتح الباب.

«السلام عليكم»، قال الرجل الخمسيني السمين القصير الغارق في عرقه أمام الباب.

«وعليكم السلام..» رد (عصام)، ثم تابع: «أهلًا يا حاج عمران.. أي خدمة؟».

قال السمين ضيق العينين وهو يجفف عرقه: «وهل سنتحدث على الباب ها؟ ألن تدعوني للدخول يا أستاذ عصام يا ابن الأصول ها؟».

فتح (عصام) الباب وهو يشير له بيده أن تفضل بالدخول، فدلف الحاج (عمران) إلى داخل الشقة برشاقة، وأخذ يتجول بعينيه بين جدرانها، ثم

جلس على الأريكة بجانب (مرجان)، وبالطبع كان لا يراه. نظر الرجل باستغراب إلى كومة المناديل المبللة فوق المنضدة أمامه، وقبل أن يسأل عن سبب وجودها، كان (عصام) يجمعها وهو يسأله: «خيرٌ يا حاج عمران؟ زيارة غير متوقعة».

أغلق (عصام) التلفاز بجهاز التحكم عن بُعد. فغضب (مرجان) وفرقع بإصبعيه ففتح التلفاز. فأغلقه(عصام)، ففتحه (مرجان).. فتركه (عصام) مفتوحًا وضحك في توتر، وقال: «عذرًا يا حاج، أعتقد أنّ الريموت به عطل.. خيرٌ يا حاج؟» وجلس على الكرسي بجانب الأريكة.

– كما تعلم يا أستاذ عصام أنّني قمتُ بشراء الخمس شقق التي في العمارة كلها ها كلها، ولم يبقَ سوى هذه الشقة ها.. هذه الشقة، وأنا خارج من ذمتي ها.. وهذا فقط من أجل والدك رحمة الله عليه.. كان صاحبي وحبيبي ها.. ثلاثة ها.. مليونان ونصف.. ها ماذا تقول؟

– أعتقد إنّنا سبق وقد ناقشنا هذا الموضوع أكثر من عشرين مرة، وفي كل مرة أقول لك: لا يا حاج شكرًا، لا توجد لدينا شقق للبيع.

أرخى الحاج نظارته الغليظة على أنفه، ونظر من فوقها شزرًا إلى (عصام) وقال في ضيق: «اسمعني يا عصام.. اسمع واستوعب ها! أنا سأشتري هذه الشقة.. وسأهدم تلك العمارة القديمة ها.. وسأبني البرج الخاص بي.. البرج ها.. أنا دفعتْ الكثير.. دفعتُ الكثير ها.. ولم يدخل جيبي ولا مليم واحد حتى الآن، ولا مليم ها.. وما السبب؟ ها ما السبب؟ حضرتك السبب ها حضرتك..».

رد عليه (عصام) بعصبية وحنق: «ماذا؟ هل ستجبرني على بيع شقتي بالقوة؟ ها هل ستجبرني؟».

قام (عمران) بصعوبة من فوق الأريكة، وقال في عصبية: «نعم، سأشتريها بالقوة.. ها سأشتريها، أنت فقط تتوهم أنك تملك الشقة وحدك، تتوهم ها، وتنسى أن لك أخًا وأختًا هم شركاؤك فيها، ها شركاؤك».

وعندما وصل إلى الباب التفتَ (عمران) إلى (عصام) وقال له بتشفي: «والذي لا تعرفه يا أستاذ ها، هو أنّني قد أرسلتْ إليهما عرضًا لن يرفضانه ها، عرضًا لن يرفضانه.. وعندها صدق أو لا تصدق على راحتك ها، لن يكون لرأيك أيّ قيمة.. قال شقتي قال ها..». وقبل أن يغلق باب الشقة من خلفه قال لـ (عصام) وهو يوجه إليه نظرة مخيفة متوعدة: «أنت لا تعرفني ها.. وأنا سوف أريك ها، سأريك من هو الحاج عمران». ثم صكّ الباب من خلفه في عنف.

وقف (عصام) خلف الباب لا يستطيع النطق، نعم هذا بالفعل ما كان ينقصه، أن يخسر شقة العائلة التي تحمل كل ذكريات عمره، وتساءل: هل يقبل إخوته فعلًا ببيع بيت العائلة؟

قاطع تفكيره صوت (مرجان)، وهو يسأله في اهتمام وجدية: «ألن نتناول العشاء؟».

(٩)

مرتْ ثلاثة أيام أخرى طويلة وعصيبة على (عصام) الذي كان يحتل بيته بالرغم منه جنيٌّ مخيفٌ نصف هندي ونصف مجنون.. كان ضيفًا ثقيلًا على قلبه إلى أقصى الحدود، طوال الوقت كان يجلس في مكانه المفضل فوق الأريكة يشاهد الأفلام والمسلسلات الهندية في شغف، ويضحك ويبكي ويلتهم كل ما في البيت من طعام، ويترك النفايات خلفه كأنّه يعيش في زريبة، غير مباليًا بشيء، و(عصام) منكمشًا في غرفته خائفًا منه، يأكل خارج البيت، ويدلف إلى شقته كظل فيسرع نحو غرفته، ويغلق الباب بالمفتاح كأنّه بهذا سيمنع الجنيّ من دخول الغرفة! يقضي كل الوقت بغرفته، وينام ويذهب للعمل، ويأكل بالخارج، ويعود إلى غرفته متأخرًا، وهكذا كل يوم.. و(مرجان) في كل هذا لا يعبأ به ولا يسأل حتى عنه، إلّا إذا تقابلا صدفة في المطبخ أو الحمام.. نعم في الحمام، في الأمس مثلًا كان (عصام) في البانيو يدعك جسده المغمور في الماء بالليفة والصابونة، وفجأة سمع من خلف الستارة التي تحجبه عن باقي الحمام صوت أحدهم يتغوط ويعاني من إمساك مزمن. أخرج (عصام) رأسه من خلف الستارة ليرى، فوجد (مرجان) جالسًا فوق مقعد المرحاض، وقد بدا (مخيفًا) بوجهه المحتقن من انقباض أمعائه.. «لا تؤاخذني يا عصومي» قال (مرجان) في هدوء.

هتف فيه (عصام) غاضبًا: «كيف تسمح لنفسك يا بني آدم أن تدخل عليّ الحمام هكذا؟».

لم يبدو على (مرجان) أي تأثر لهتاف (عصام)، وقال وهو يستمر في فعل ما يفعل: «أولًا لستُ ببني آدم.. أشعر أنّك تسبني عندما تدعوني بني آدم! لا تُدقِق يا عصومي.. ألم تدخل الجيش؟».

وقبل أمس عندما قام (عصام) من فراشه ليلًا ليشرب، وفتح الثلاجة وجد (مرجان) نائمًا داخلها، وعندما صرخ من الفزع استيقظ (مرجان) هو أيضًا فزعًا من صراخه، وصاح فيه غاضبًا: «ما هذا يا بني آدم! هل هكذا توقظون الناس من النوم عندكم؟».

صاح فيه (عصام) بدوره: «وهل الطبيعي عندكم أن تناموا في الثلاجات؟»

«حران يا أخي.. واحد حران هينام فين يعني؟ في البوتوجاز؟ ألم تدخل الجيش؟» قال (مرجان)، ثم عاد إلى نومه. ووقف (عصام) يفكر في بلاهة ما علاقة الجيش بالنوم في الثلاجة.

ولكن في اليوم الرابع اختلف الأمر، فعندما دخل (عصام) إلى الشقة وجد (مرجان) واقفًا في انتظاره، ودون أي كلمة، جذبه من يده وجرّه جرًا ناحية غرفة السفرة، ثم قال له بحماس: «اليوم.. قلتُ في نفسي.. يجب على عصومي أن يريح معدته قليلًا من السجق ومن أكل الشوارع، فأعددتُ لك بيدي هاتين وليمة فاخرة من المطبخ الهندي».

اتسعتْ عينا (عصام) من الدهشة عندما وقعتا على تلك السفرة العامرة بأصناف مختلفة ومتنوعة من الأطعمة التي لم يرها أبدًا في كل حياته.

سحب (مرجان) الكرسي على رأس المائدة وأجلس (عصام)، ثم ألقى بمنديل على حجره، وجلس في الكرسي بجواره وهو يرمقه بعينين تشتعلان بالحماس والانفعال.. أشار (عصام) إلى أحد الأطباق أمامه وسأله في تردد وريبة: «ما هذا؟».

قال (مرجان) في فخر: «هذا طبق (كاتي رول) من أشهر الأكلات الهندية».

مدّ (عصام) يده وتناول بعضًا ممّا في الطبق، وما إن وضعه في فمه، حتى احمر وجهه، كأنّه تناول قطعة من جمر، فأخذ كوب من ماء وتناوله دفعة واحدة وهو يصيح: «حار.. حار..».

ضحك (مرجان) وهو يقول: «ليس حارًا لتلك الدرجة، فأنا قد راعيتُ أنّك ما زلتَ مبتدءًا في المطبخ الهندي، فلم أضع الكثير من الفلفل والشطة والتوابل الحارة.. لكن ما رأيك في مذاقه؟».

قال (عصام) وهو يمسح دموعه التي انساحتْ على وجنتيه: «بصراحة.. مذاقه جميل.. تحفة حقيقية.. ممّا هو مصنوع هذ الكاري تول؟».

ضحك (مرجان)، وقال: «اسمه (كاتي رول) وهو مصنوع من كباب وبيض وخضار وبالطبع التوابل». ثم قرّب إلى (عصام) طبقًا آخر، وقال له: «حسنًا تذوق هذا الطبق.. هذا دجاج (تاندوري) وهو عبارة عن دجاج مشوي مع اللبن الرائب وبهارات التاندوري ماسالا».

- ماسالا؟

– ماسالا فيندالو.. عجينة مكونة من التوابل الهندية، وإضافات أخرى مثل الثوم والزنجبيل والبصل.

– تحفة يا مرجان تسلم يديك، وما هذا الطبق؟ (أشار عصام بيده إليه).

– هذا فابا لليش.

– فابا ... ماذا؟

– «فابا لليش.. سمك مخلي نطهوه على بخار الماء، ثم نضعه داخل عجينة من الخردل والفلفل الأحمر، ثم نعيد طهوه مرة أخرى على البخار إلى أن ينضج.. وهذا خبز يدعى (نان)» أمسكه (مرجان) وناوله لـ (عصام).. وتابع: «كل منه فهو أفضل بكثير من الخبز المدعوم الذي تأكلونه في مصر».

– وما هذا هناك؟.. مشبّك دمياطي!

ضحك (مرجان) وقال: «هذا (جاليبي) هو بالفعل مشبك، ولكن هندي وليس دمياطي.. إنّه للتحلية.. طهوتُ لك أيضًا للتحلية الـ (للدو).. إنّه مصنوع من دقيق الذرة والكركم والزبد والفانيليا ومقليًا في الزيت.. وطهوتُ لك أيضًا، هذا فقط لأنّك عزيزا عليّ، (كولفي) هو كالمثلجات مصنوع من اللبن والفزدق الحلبي واللوز، وألف هناء وشفاء على بدنك».

كان الطعام يملأ فم (عصام)؛ يأكل في نهم عندما سأل: «وأنتَ أين تعلمتَ كلّ هذا يا مرجان؟ إنّه عمل طهاة محترفوًن».

قال له (مرجان) وهو يشاركه الطعام: «تلك حكاية كبيرة سوف أقصها عليك في يوم مًا».

– ولهذا السبب ترتدي ثياب الهنود؟

– اسمع يا عظام (لأنّ عصام كان شديد النحافة).

– عصام.

– لا فرق كبير.. انظر يا عصام.. أنا أعشق كل ما هو هندي، الطعام.. الثياب، والأفلام والمسلسلات الهندي، حتى التمر هندي وجوز الهند أعشقهما.. ونعم كل هذا مرتبط بالحكاية الكبيرة التي قلتُ إنّني سوف أحكيها لك يوما مًا.

– لكن أنت كلفتَ نفسك كثيرًا يا مرجان، إنّها وليمة ضخمة ولا وليمة عرس!

قال (مرجان) في تردد: «لم تكلّف كثيرًا، كلها تسعمئة جنيهًا لا أكثر، هم دين في رقبتي سوف أردهم لك.. يومًا ما».

عندما سمع (عصام) هذا الكلام أصابته حازوقة شديدة، فأخذ يشرب الماء، وقفز مرجان ووقف خلفه وضربه بقبضة يده على ظهره وهو يقول: «سلامتك.. سلامتك يا غالي يابن الغاليين».

هتف فيه (عصام) مستنكرًا: «دين وسوف ترده لي يومًا؟ لا أفهم!!!».

– حسنًا.. لقد أخذتُ من الأموال التي تخبئها في خزانة ثيابك ألف جنيهًا، واشتريتُ بهم بعض طلبات البيت.

– أخذتَ من تحويشة عمري ألف جنيهًا، واشتريتَ بهم طلبات

للبيت؟!!!

– نعم لم يكن بالمنزل ولا حتى لُقمة واحدة.. أأتركك تموت من الجوع؟ (هتف مرجان بالجملة الأخيرة مستنكرًا).

انتفض (عصام) واقفًا ومسح يديه وفمه بمنديل ورقي، وصاح في وجه (مرجان): «اتركني يا أخي أموت من الجوع أو حتى يدهسني قطار.. ما دخلك أنت؟ وبأيّ حق تأخذ من أموالي دون استئذاني؟».

– ليس هناك من فرق بيننا يا عصومي.

– عصومك؟

– عصومك.. حلوة منك يا عصومي.

– أنت.. أنت إنسان بارد الدم!

– لو سمحت.. أنا جنيّ ولستُ بإنسان.

– ماذا؟

– جنيّ.. أنا جنيّ ولستُ بإنسان!

كان (عصام) على وشك الانفجار من الغيظ، وأراد أن يطلق السباب واللعنات، ولكنّه تذكر ما فعله به آخر مرة عندما ألقاه فوق ظهر أبو الهول، والسحابة السوداء والصواعق؛ فكظم غيظه وانسحب مسرعًا إلى غرفته وهو يغمغم بكلام غاضب غير مفهوم.

فتابع (مرجان)؛ تناول الطعام وهو ينادي على (عصام): «عصومي..

ألن تأتي لمشاهدة مسلسل (كوشي وأرناف) معي؟ حسنًا تعالَ وتذوق الـ (كولفي) سيعجبك كثيرًا».

(١٠)

كان (عصام) ممدًا فوق فراشه، والدماء تغلي في عروقه غيظًا من مرجان، لا يعرف كيف يتخلص من هذا المحتل البغيض.. وفجأة لمعتْ ذكرى في رأسه جعلته ينتفض ليعتدل جالسًا. كان لـ (عصام) قريبًا لأسرته من بعيد يُدعى (عبد المجيد). كان (عبد المجيد) يزوره بين الحين والآخر منذ عدة سنوات.. وتذكر (عصام) كيف كان يحكي له (عبد المجيد) عن زوجته الممسوسة من الجن؛ التي كانتْ تفعل أشياء غريبة، مثل أنّها كانتْ تجمع بقايا عظام الدجاج ثم تضعه في طبق وتجلس أمام باب شقتهم ليلًا لتأكله مع قطط البيت، وكانتْ تأتيها نوبات هياج فتصرخ وتقطع شعرها بيديها، وكيف أنّ (عبد المجيد) قريبه هذا قد ذهب بها للعديد من الأطباء ثمّ المشايخ دون فائدة. ثمّ بعد شهور من المعاناة زار شيخًا ما فكان شفاؤها على يديه.. كان (عبد المجيد) يمتدح هذا الشيخ ويقول أنّه شيخ مبروك وصاحب كرامات، وذكر أنّ لديه العديد من الجن يخدمونه ويلبون كل طلباته. في هذا الوقت كان (عصام) يسخر من قريبه الريفي الساذج الذي يصدق في مثل تلك الخرافات، لكن بعد ظهور (مرجان) أصبح (عصام) قابلًا لتصديق أيّ شيء. وعلى الفور فكر (عصام) بالاتصال بقريبه (عبد المجيد) ليحضر له هذا الشيخ المبروك، ولربما استطاع تخليصه من (مرجان) الذي نغّص عليه عيشته ومرر حياته أكثر ممّا هي مُرة. أمسك بهاتفه وأخذ يبحث عن رقم (عبد المجيد)، ولكن قبل أن يضغط على زر الاتصال تذكر أنّ (مرجان) قد يستمع

إلى مكالمته، وعندها قد يحدث ما لا يُحمد عقباه؛ لذا قرر أن يؤجل الاتصال لحين خروجه من المنزل. قام مسرعًا وارتدى ثيابه وخرج من غرفته. كان (مرجان) كعادته يشاهد مسلسلاته الهندية بشغف كبير ولا يشعر بما يدور من حوله؛ فتسلل (عصام) وخرج من الشقة. صكّ الباب من خلفه بهدوء، ونزل السلالم مسرعًا في خفة.

***

على المقهى القريب من بيته، جلس (عصام) في حالة توتر شديدة، ما تمر ثانية إلا ويحدق في ساعة يده متململًا، ثمّ ينظر إلى هاتفه المحمول ليرى هل اتصل به أحدهم.. وهمّ بالفعل أن يتصل بـ (عبد المجيد) لولا أنّه رآه قادمًا من بعيد بصحبة شخص ما؛ فأغلق هاتفه وهتف في ارتياح: «الحمد لله وصلا»، وظلّ واقفًا على قدميه حتى أتيا إليه بالفعل.

«لماذا تأخرتما هكذا يا عبد المجيد؟» قال (عصام) في توتر وهو يمد بيده ليسلم عليه.

فأمسك هذا الآخر بيده وجذبه إليه ليعانقه في حميمية، ويقول: «ولا تأخرنا ولا شيء يا قريبي. مجرد مسافة السكة من بشتيل للحوامدية لكي آتي بالشيخ دياسطي الله يبارك في عمره.. سلم على الشيخ يا قريبي سلم».

مدّ (عصام) بيده ليسلم على الشيخ الخمسيني نصف الملثم؛ والذي يرتدي عباءة سوداء تحتها قفطان أبيض على صندل جلدي أسود لميع، ويمسك بمسبحة ضخمة الحبات، وينضح برائحة المسك والعنبر.. قبض الشيخ بقوة على يد (عصام) ورمقه بعينيه المخيفتين كعينين ذئب، وقال في

هدوء وثقة بالغة: «كيف حالك يا عصام؟ لا تقلق سأخلصك منه».

لم يرَ (عصام) شفتي الرجل وهما تتحركان وتنطقان بهذا الكلام؛ حيث أنّ فمه وجزء من أنفه كان يختفي تحت الشال الصوفي الأسود الذي يلفه حول وجهه ويتدلى فوق صدره. تلعثم (عصام) وهو يحاول أن يجذب كفه من كف الشيخ القابضة عليها؛ قائلًا: «سـ ستخلصني مِن مَن؟».

أمسك الشيخ بالخاتم حول بنصر (عصام)، وقال: «من خادم هذا الخاتم».

نظر (عصام) بخوف إلى (عبد المجيد)؛ الذي هتف بكل ثقة: «ألم أقل لك يا أستاذ عصام؟ ألم أقل لك أنّ مولانا صاحب كرامات؟!!».

ارتسمتِ ابتسامة باهتة على شفتي (عصام) وهَمّ بقول شيء ما، ولكن الشيخ قاطعه وقال: «أتمنى ألّا نضيع الوقت.. والله لولا حبي لقريبك عبد المجيد ما أتيت».. فهجم (عبد المجيد) على يد الشيخ يلثمها وهو يدعو له بطول العمر.

***

أمام باب الشقة وقف (عصام) وهو في قمة خوفه وتوتره، حتى أنّه لم يتمكن من دس المفتاح في مكانه ليفتح الباب. فتقدم (عبد المجيد) وأخذ المفتاح منه وفتح الباب وهو يقول: «ماذا دهاك يا قريبي؟ ألا تعرف كيف تفتح بابك؟». همّ (عصام) أن يقول شيئًا ما، ولكن الخوف كان يجمد أطرافه ويشل حركته. فتقدم (عبد المجيد) وهو يدعو الشيخ (دياسطي) للدخول.

دخل الأخير ثم التفتَ إلى (عصام)، وقال بثقة تامة ولغة صارمة: «ادخل يا عصام ولا تخف، أنت معك الشيخ دياسطي».

غمغم (عصام): «هذا هو ما يخيفني».

سأله (دياسطي) منزعجًا: «أتقول شيئًا يا أستاذ عصام؟».

قال (عصام) وهو يحمل قدميه حملًا ليدخل إلى الشقة: «لا أبدًا يا مولانا.. أقول فقط ربنا يستر». دخل (عصام) وأغلق الباب من خلفه.

أخذ (عصام) يتجول بعينيه داخل الشقة باحثًا عن (مرجان) فلم يجده، فنظر إلى الرجلين معه وقال في توتر ملحوظ: «تفضلا.. تفضل يا شيخ دياسطي، تفضل يا عبد المجيد».

أخذ الشيخ يتجول في الشقة ويفتح أبواب الغرف وينظر داخلها، ويتبعه (عبد المجيد) و(عصام) الذي كانتْ قدماه لا تقويان على حمله.

«ما شاء الله ما شاء الله! شقة واسعة وبراح، شقق الزمن الجميل». قال الشيخ (دياسطي).

«هل ستقوم بشراء الشقة يا مولانا؟» سأل (عصام) في استنكار.

رمقه (دياسطي) بنظرة جمدتِ الدّم في عروقه، فتابع (عصام) في خوف شديد: «ولا تغلى عليك يا مولانا!».

لم يرد عليه (دياسطي) ولكنّه ظلّ يتمتم ويحرّك حبات المسبحة الكبيرة بين يديه، ثمّ عاد بهما إلى الصالة، ووقف في وسطها ثمّ وضع المسبحة فوق

رأسه وقال لـ (عصام) آمرًا: «أشعل لي قليلًا من الفحم يا بُني وأحضره لي».

سأل (عصام) مستنكرًا: «فحم؟». وعندما رمقه (دياسطي) بنظرته المخيفة تلعثم (عصام) وهو يهمّ بالذهاب إلى المطبخ، قائلًا: فحـ.. فحم نعم عندي منه القليل في المطبخ، سأذهب وأشعلهم وأحضرهم إلى حضرَتك».

ترك (عصام) قريبه والشيخ في وسط غرفة الجلوس، وذهب مسرعًا ليفعل ما أمره به الشيخ المخيف.

لم تمر ثوانٍ حتى عاد (عصام) وبيده طبق مغلّف بورق الألومنيوم وعليه قطع من الفحم المشتعل، حتى أنّ (دياسطي) و(عبد المجيد) اندهشا من سرعة عودته؛ فقال له (عبد المجيد) متعجبًا: «إنك حقًا سريع الحركة يا قريبي!». لم يرد عليه (عصام)، وضع طبق الفحم على الطاولة أمام الشيخ (دياسطي) وجلس على الأريكة قبالته ينظر إلى ما يفعل في صمت.

أخرج (دياسطي) شيئًا ما من جيبه الأيمن، وألقى به في طبق الفحم فنتج عنه دخان كثيف ملأ المكان، ثمّ أخذ (دياسطي) ينادي آمرًا وبلغة غير معروفة: «فشادير فشودير فشاذير.. برقموش يموقاش هاويش.. برقاش برقيوش بريناش، أنوش هاش هيوش، نوش ينوش أزلموش.. يا جامع يا جن اجمعوا وقدموا لاق لاق عاجلًا عاجلًا، ائتوني كرهًا أو طوعًا، قالتا أتينا طائعين.. أقسمتُ عليكم يا جماعة العفاريت الطيارة والجنود والملوك الأرضية بالاسم المكنون المخزون الذي إذا دُعيَ به أجاب وإذا سئل به أجاب، انزلوا يا ملوك الجن وافتحوا كل قفل وسلسلة وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (وانتفضت العروق في رقبة دياسطي وهو يصرخ ويلوح بيديه

في الهواء) يا قيزوم بن يعقوب الأزرق، ويا أبو أيوب الأحمر وخدامه، ويا أبو برقان وعساكره، ويابن شمهروش الأبيض وأهل طاعته، ويا ميمون يا صاحب السلسلة وأهل مملكته وأهل بساطه، أقبلوا أيها الملوك السبعة أنتم وجنودكم ورماتكم وبنوكم وبناتكم، أحراركم وعبيدكم واقبضوا على هذا الجني المارد اللئيم المعتدي، وقيدوه بالأغلال والحديد، واسقوه المر والصديد، العجَل العجَل أيها الخدام افعلوا ما أمرتكم به ووكلتكم عليه».

فجأة ظهر في المكان خيال أسود كبير، أخذ يحيط بالجميع ويدور في حلقات من حولهم.

كان (عبد المجيد) مرعوبًا إلى أقصى الحدود حتى كاد أن يُبلل ملابسه، و(دياسطي) ما زال يتمتم بكلامه الغير مفهوم. أما (عصام) فلم يتحرك من مكانه، والغريب أنّه لم يظهر عليه أي ردة فعل لا خوف ولا قلق، حتى أنّه كانتْ هناك ابتسامة صفراء غامضة ومريبة مرتسمة على شفتيه، ممّا زاد من قلق (عبد المجيد)؛ فاقترب منه الأخير وجلس بجواره وسأله في رعب: «ما الذي يحدث يا قريبي؟».

لكن (عصام) لم يجبه وظلّ يحدق في (دياسطي) الذي كان ما زال ينادي بتلك اللغة الغريبة على ملوك وخدام الجان. وارتجف (عبد المجيد) رعبًا عندما قام (عصام)، ثم تقدّم ووقف أمام (دياسطي) مباشرة، ورفع يداه ومدهما على آخرهما، ثم فتحهما، ثم صفق بهما بقوة فاختفى الثلاثة أشخاص من الغرفة، (عصام) و(عبد المجيد) و(دياسطي)، ومعهم طبق الفحم والبخور، وهدأ كل شيء، كأنّ شيئًا لم يحدث.

ما هي إلّا ثوانٍ حتى خرج (عصام) الحقيقي من المطبخ، وتوجه مسرعًا إلى الصالة يحمل في يده طبقًا ملفوفًا بأوراق الألومنيوم عليه قطع من الفحم المشتعل. وعندما لم يجد أحدهم هناك، شعر بخوفٍ رهيب، وبصوتٍ ضعيفٍ مبحوح أخذ ينادي: «يا شيخ دياسطي.. يا عبـ يا عبد المجيد.. يا شيخ دياسطي..». فلمّا لم يجبه أحد وضع طبق الفحم فوق المنضدة، وأخذ يتجول في الشقة يبحث وينادي عليهما ولكن لم يجبه أحد.. أيّ أحد..

(١١)

كان يبحث في أرجاء الشقة عن الشيخ (دياسطي) وقريبه (عبد المجيد)، وفجأة.. انقطع النور.. شعر (عصام) برعب شديد، وأخذتْ ركبتاه تهتزان في عنف. أخرج هاتفه المحمول وفتح الكشاف ليعطيه قليلًا من الضوء ينير به طريقه إلى المطبخ ليحضر شمعة. «يا ليلة سوداء! أين ذهب الجميع؟» قال (عصام) في صوت مرعوب مرتجف.

دخل المطبخ وفتح أحد الأدراج وأخرج شمعة، وبيد مهتزة أراد أن يشعلها بالقداحة، فأتى هواء خفيف من حيث لا يعلم أطفأ شعلة القداحة. وعندما حاول إشعالها مرة أخرى انطفأ كشاف الهاتف المحمول! «يا ليلة سوداء! الهاتف قد فرغتْ بطاريته.. هل هذا وقته؟» قال (عصام) وهو يشعل الشمعة. أشعلها ثم خرج من المطبخ يرفع يده التي تحمل الشمعة أمامه لينير بها الطريق لنفسه، وبقدمين لا تقويان على حمله توجه نحو الصالة، وفجأة وضع أحدهم يده على كتف (عصام) من الخلف.. تجمد في مكانه، وكاد قلبه أن يتوقف من الخوف، وأخذتْ دقاته تعلو وتتسارع. لم يقوَ (عصام) حتى على الاستدارة لرؤية صاحب اليد الموضوعة على كتفه من الخلف، ولكنّه استدار ببطء وكان جسمه كلّه يهتز من الرعب.

«شيخ دياسطي!» هتف (عصام) في ارتياح، وأطلق زفيرًا طويلًا عندما رأى الشيخ (دياسطي) أمامه. «لقد كاد قلبي أن يتوقف من الرعب» تابع (عصام) وهو يمسك بيد الشيخ ليتوجه به إلى غرفة الصالة.. «أنا ذهبتُ

لأحضر الفحم المشتعل كما أمرتَ يا شيخ، ولكن عندما عدتُ لم أجدك لا أنت ولا عبد المجيد.. صحيح أين عبد المجيد؟».

ولكن (دياسطي) لم يرد على (عصام) ولم ينطق، ممّا زاد من قلق وخوف الأخير؛ فسأله في توتر: «لماذا لا ترد عليّ يا شيخ؟». اهتزتْ يد (عصام) الحاملة للشمعة فانطفأتْ، فأخرج (عصام) بيدٍ مرتجفةٍ القداحة من جيبه ليُشعلها، وعندما أضاءتِ الشمعة لم يجد الشيخ (دياسطي) أمامه، فأخذ يدير رأسه ويتلفتَ في كل اتجاه يبحث عنه، وهو ينادي بصوتٍ ضعيف لا يكاد يُسمع: «ششيخ دياسسطي.. أين ذهبتَ يا شيخ؟»، وعند التفافه ظهر أمامه فجأة قريبه (عبد المجيد)، كان في حالة يُرثى لها، وعلى وجهه ارتسمتْ أعظم نظرة رعب رآها (عصام) في حياته. كان (عبد المجيد) يرتجف من الرعب، وجسده مغطى بالتراب من شعر رأسه لأخمص قدميه؛ ففزع (عصام) وصرخ رعبًا، وكذلك فعل (عبد المجيد)؛ أخذ يصرخ. كلاهما كان يصرخ رعبًا، ثم ركض (عبد المجيد) كالبرق نحو باب الشقة وفتحه ونزل مهرولاً على السلالم لا يلوي على شيء، يقفز على درجات السلم كأرنب ممسوس لا تتوقف صرخاته..

ثم فجأة عاد الضوء، و(عصام) من خوفه كان يقف متجمدًا في مكانه لا يقوى على تحريك خلية من جسده، والشمعة ما زالتْ مشتعلة في يده، وفجأة انغلق باب الشقة المفتوح بقوة؛ ففزع (عصام) وقفز في مكانه رعبًا، وفزع مرة أخرى عندما سمع صوت (مرجان) يأتي من خلفه يقول في غضب: «أهلًا!». التفتَ (عصام) خلفه، فوجد (مرجان) واقفًا أمامه وفي عينيه نظرة

نارية.. نفخ (مرجان) في الشمعة فأطفأها.. و(عصام) محشورةً الكلماتُ في حلقه لا يقوى على النطق. «أتحضر لي دجالًا كي يطردني من المنزل؟» قال (مرجان) في غضب، ثم أردف: «أتعلم ماذا سأفعل بك؟».

هزّ (عصام) رأسه متسائلًا، وهو يقول في صوتٍ مرتعِش من الرعب: «ماذا؟ ماذا ستفعل بي؟».

قال له (مرجان) في حزم: «أنا سوف أُخفيك من على وجه الأرض».

نظر (عصام) إلى يده الحاملة للشمعة المُطفأة فوجد أنّها بالفعل بدأتْ في الاختفاء تدريجيًا؛ فألقى الشمعة بطبقها على الأرض، وشهق شهقة فزع عندما رفع يده الأخرى فوجدها هي أيضًا تختفي تدريجيًا.. «لا والنبي لا والنبي أُقبِّل يديّك لا تخفيني يا عم مرجان» صاح (عصام) مستعطفًا.

«الآن أصبحتُ عم مرجان؟» سأل الجنيّ في سخرية، وفجأة انفجر ضاحكًا فتوقف (عصام) عن الاختفاء وعاد إلى طبيعته؛ فقال له (مرجان) ساخرًا: «حسنًا اذهب إلى الحمام واغسل وجهك وبدّل هذا البنطال المبلول وتعال». ثم صاح: «اذهب!!!»؛ فانطلق (عصام) راكضًا نحو الحمام.

(١٢)

كان (عصام) في غرفة نومه مرتديًا منامته الكستور المخططة بالطول، يجفف رأسه المبَلَّل بمنشفة، عندما ناداه (مرجان) لتناول العشاء. جلس (عصام) في مكانه على طاولة الطعام يتطلع في خوفٍ إلى (مرجان) الذي جلس بجواره ينظر إليه شزرًا وهو يملأ طبقه.. ابتلع (عصام) ريقه في صعوبة بالغة وهو يأخذ الطبق من (مرجان). «كُل» قال (مرجان) آمرًا؛ فبدأ (عصام) يلتهم الطعام في نهمٍ مبتعدًا عن النظر مباشرة في عين (مرجان).

كان الصمت يخيم على المكان اللهم إلّا من صوت احتكاك الملاعق بالأطباق، والأسنان تطحن الطعام. و(مرجان) يحدق في (عصام) بنظراتٍ مخيفة جعلتْ مفاصل الأخير ترتعد وركبتَيه تخبطان في بعضهما البعض.

– مـمـ.. ممكن أسأل حضرتك سؤال؟ (قال عصام متلعثمًا).

رد عليه (مرجان) ساخرًا: «حضرتك؟ فعلًا، ناس تخاف ولا تستحي».

– إن كان يغضبك هذا فلا بأس حضرتك لا تشغل بالك.

– تفضل اسأل.

– هو.. هو حضرتك ماذا فعلتَ في عبد المجيد والشيخ دياسطي؟

صاح فيه (مرجان) مستنكرًا: «شيخ؟».

– الزفت.. تحت إبط الكوكب.. مؤخرة المجرة دياسطي.

– لا أبدًا.. فقط أردتُ أن أجعله يغيّر جوّ، هل سمعتَ عن الأمازون؟

– الأمازون؟ أليس هو النيل الموجود بأمريكا الجنوبية؟

– نعم هو النيل الموجود بأمريكا الجنوبية.. بالقرب من الحدود البرازيلية الفينزويلية.. هناك بعيدًا في الغابة المطيرة على ضفاف نهر الأمازون.. توجد قبيلة اسمها (يانومامي).

– يانومامك؟

– لطيف.. الـ (يانومامي) هؤلاء أناس طيبون إلى أقصى الحدود يا عصومي، أناس بريئون يعيشون على الفطرة.. يأكلون السمك والضفادع والحشرات.

– حشرات؟

– نعم حشرات.. الشيء المميز في هذه القبيلة يا واد يا عصام أنّهم يتكلمون أربع لهجات مختلفة.. ثم أخذ يعد على أصابع يده: (اليانام) والـ (السانوما) والـ (يانومامي) والـ (يانومامو).

– يانومامو؟

– يانومامو.. وصدقني عندما أقول لك أنّ أهل هذه القبيلة لا يفهم الواحد منهم لغة الثاني.. المشكلة الوحيدة أنهم قوم عنيفون قليلًا.. أو كثيرًا.. انظر معي..

أشار (مرجان) إلى الحائط، فنظر (عصام) فرأى كأنّ سطح الحائط

يتموّج، ثمّ تحول إلى ما يشبه شاشة عرض سينمائية، وفيها كان أهل قبيلة بدائية يلتفون حول نار عظيمة يرقصون ويصرخون ويشاورون بالسلاح إلى حيث كان الشيخ (دياسطي) مربوطًا إلى شجرة كبيرة بالحبال، يصرخ ويصرخ وهو في حالة يرثى لها. وما يمر عليه أحد من أهل القبيلة كبيرًا كان أو صغيرًا إلّا ويصفعه على وجهه ثم يبصق عليه.

انكمش (عصام) في مقعده مرعوبًا، وقال في صوتٍ ضعيف: ه هل هل سيأكلونه أم ماذا؟

رد عليه (مرجان) ضاحكًا: لا لا، إنهم لا يأكلون الحلاليف لا تقلق». ثم اختفتِ الصورة.

– حسنًا، وقريبي عبد المجيد؟ ماذا فعلتَ بالرجل؟ (سأل عصام بصوت ضعيف).

– إنّ عبد المجيد هذا أكثر من أشفقتُ عليه، ولعلمك هذا لا يحدث معي كثيرًا.

– و ولماذا أشفقتَ عليه يا أستاذ مرجان؟

ضحك (مرجان) وقال وهو لا يقدر على منع نفسه من الضحك: «أمّا عبد المجيد هذا، فقد أخذته في رحلة سفاري.. فجعلته يزور بحر الرمال الأعظم في سيوة بالقرب من الحدود الليبية.. لم يصمد سوى دقيقة واحدة، ثم وجدته يغرق حتى خصره في الرمال وهو يصرخ ويصرخ.. فأشفقتُ عليه، فعدتُ به إلى هنا.. أرأيتَ يا عصومي كم أنا رقيق القلب؟

- رقيق القلب؟

- ماذا؟

- لا أبدًا، بالفعل كلك طيبة ورِقة.. من أجل هذا كان المسكين مغطى بالتراب من رأسه لأخمص قدميه.

- ذنبهم في رقبتك أنت لا أحد غيرك.. هل انتهيتَ من الطعام؟

هز (عصام) رأسه نافيًا، ولكنّه قال في خوف: «نـــ نعم انتهيت».

- إذًا قُم واغسل الأطباق، واصنع لنا كوبَين من الشاي الصعيدي الغامق والثقيل..

(١٣)

بينما كان الماء يغلي في البرّاد من أجل صنع الشاي الذي طلبه (مرجان)، كانتِ الدماء كذلك تغلي في عروق (عصام). كان لا يشغل باله سوى البحث عن الطريقة التي ستخلصه من هذا الجني الغازي المجنون.. وفجأة لمعتْ فكرة مجنونة في عقله، فتوجه نحو الخزانة الخشبية تحت الموقد وفتحها، وأخذ يبحث فيها عن شيء ما. التقط منها علبة كرتونية مكتوب عليها (سم فئران- خطر جدًا)، وبتردد سكب (عصام) القليل منه على الشاي والسكر في الكوب الزجاجي، ثم صبّ عليهم الماء الساخن، وأخذ يقلب الخليط القاتل في حذر، ثم وضع المزيد من السكر والشاي مرة أخرى (يحاول أن يخفي مذاق السم)، ثم وضع كوب الموت السريع على طبق، وحمله بيد تهتز خوفًا وقلقًا ثم خرج إلى صالة الجلوس، حيث كان يجلس (مرجان) يتابع مسلسله الهندي في شغف.

اقترب منه (عصام) في تردد، وبصوتٍ خافت لا يكاد يخرج من حلقه، نادى: «ممـ مـ مرجان.. (ثم استجمع شجاعته وقال في صوت أجش) مرجان، الشاي الذي طلبته».

تلَفَّتَ إليه (مرجان)، فوجده مرتبكًا يتصبب عرقًا، فسأله في اهتمام: «ما بك يا عصام؟ لماذا أنت مهزوز هكذا ومتعرق؟».

كاد (عصام) أن يعترف لـ (مرجان) بفعلته الشنيعة، وحاول جاهدًا أن يصرف تفكيره عمّا فعل؛ لأنّ (مرجان) يستطيع أن يقرأ أفكاره. فأخذ يغني

في عقله: «في البحر سمكة.. سمكة.. بتزق سمكة.. سمكة..».

– سمكة.. بتزق سمكة؟ سمكة يا عصومي؟

ازداد توتر (عصام)، وقال متلعثمًا: «مـ مهزوز؟! لا، لا لستُ مهزوزًا ولا شيء، فقط أشعر بالإرهاق وأريد أن أنام.. والسمكة.. نعم السمكة إنّها أغنية كنتُ أحبها كثيرًا وأنا طفل ولا أعرف ما الذي ذكرني بها الآن».

كاد كوب الشاي أن يقع من فوق الطبق، لاهتزاز يد (عصام). فنظر إليه (مرجان) نظرة ثاقبة، وقال له في استنكار: «يبدو أنّك قد فعلتَ شيئًا مريبًا يا عصومي.. ممكن.. أقول مثلًا من الممكن أن تكون قد دسستَ لي شيئًا ما في كوب الشاي؟».

كاد (عصام) أن يغيب عن الوعي، وبهتتِ الرؤية في عينية عندما قال (مرجان) ذلك، وتحقق فيه القول المأثور: «يكاد المريب أن يقول خذوني». كان يلتقط أنفاسه بصعوبة، وعيناه تدوران في محجريهما في جنون، ولكنّه تمالك نفسه واصطنع ضحكة شاحبة، وقال ساخرًا وهو يطلق ضحكات مبتورة: «شيئًا ما؟ شيءٌ ماذا؟ لماذا أنت مرتاب هكذا يا مرجان باشا؟».

قام (مرجان) منتصبًا، وقال له في صرامة: «إذا كان الأمر كذلك، فأنت من سيشرب هذا الشاي؟».

– أ أنا.. أنا أشرب الشاي.. هذا الشاي؟ (تساءل عصام متلعثمًا، وكاد أن يهوي أرضًا؛ فقدماه لم تعدان قادرتان على حمله).

رد عليه (مرجان) بهزة جادة من رأسه، وقال وهو يرمقه بنظرات صارمة

مخيفة: «نعم أنت من سيشرب هذا الشاي».

وبيدٍ مُرتعشة التقط (عصام) كوب الشاي من الطبق.. لا مفر من الهلاك. في هذا كان يفكر وهو يرفع كوب الشاي إلى فمه، ليرتشف منه رشفات الموت. ولكن قبل أن يفعل، أمسك (مرجان) بيده وأخذ الكوب منه، وهو يقول مازحًا: «ماذا؟ هل صدقت؟ هذا كوب الشاي الخاص بي.. وبصراحة تطلبه الدماغ بإلحاح». ثم على رشفتين فقط كان (مرجان) قد انتهى من كوب الشاي كله.. ثم وضع الكوب على المنضدة أمامه، وألقى بجسده فوق الأريكة وهو يقول في امتعاض: «كوب من الشاي مثل الزفت والقطران.. ما هذا يا بني؟ ما كل كمية السكر تلك؟ ما هذا القرف.. يبدو أنَّ الشاي قد التقط رائحة شيء متعفن!». ثم عاد (مرجان) إلى مشاهدة مسلسله في اهتمام، وعادتْ ألوان الحياة مرة أخرى إلى وجه (عصام). أطلق زفرة راحة عميقة، واستعاد الثقة في نفسه، فتمتم في سعادة وبصوت خافت: «بالسم الهاري.. إن شاء الله المرة القادمة، لو كانتْ هناك مرة قادمة، سأصنع لك كوبًا أحلى من الشاي، إن شاء الله لن تعي وتشربه».

قال له (مرجان) وهو مشدود الانتباه إلى الشاشة الفضية يتابع المسلسل في شغف: «أتقول شيئًا يا عصومي؟».

– لا لا فقط أقول مطرح ما يسري يمري.. (قال عصام وهو يلتفت ويهمّ بالذهاب إلى غرفته).

ولكن (مرجان) أوقفه وسأله: «إلى أين يا عصومي؟».

– سـ سأذهب إلى غرفتي لأستريح قليلًا.

– لا لن تفعل.. اجلس معي يا رجل، تابع معي هذا المسلسل الرائع.

– لا لا أريد؛ فأنا لا أحب المسلسلات الهندي.

– لا تقل هذا حتى لا أغضب منك.. اجلس يا رجل اجلس.. ده هيعجبك قوي.. اجلس.

جلس (عصام) على حافة الكرسي كمن يستعد للركض في أيّة لحظة، وكان ينظر إلى (مرجان) في خفية ليراقب تأثير السم عليه. فلمّا لاحظ (مرجان) تلك النظرات ارتبك (عصام)، ولكي يخفي توتره سأله وهو يتصنع ابتسامة: «مـ ما حكاية هذا المسلسل يا مرجان؟ احكي لي».

– حكاية المسلسل ده حكاية يا عصومي.. الواد ده بيحب البنت دي.. والواده التاني ده صاحبه هو كمان بيحبها.. الواد صاحبه ده شرير قوي قوي يا عصوم.. بيدبر حادثة لصاحبه وللبنت وهما مسافران بالسيارة، فالواد الطيب يموت والبنت تفقد الذاكرة.. فيقنع البنت أنّها كانتْ تُحبه هو وليس صاحبه الذي مات ويعقد عليها.

– يعقد عليها؟ يعني إيه؟

– يعني يتزوجها.. وفي ليلة الدخلة يطلع لهم شبح الواد الطيب وبيطلع عين أم الواد الشرير.. وبيكتشف الواد الطيب إن أبا الواد الشرير هو من قتل والده واستولى على أمواله وخطف أمه وحبسها وقال إنّها ماتت، ورمى الواد الطيب الغلبان في ملجأ للأيتام.

– يعني الواد الشرير قتل الواد الطيب واتزوج حبيبته، وأبو الواد الشرير

قتل أبو الواد الطيب ورماه في ملجأ وحبس أمه كمان؟

– نعم حبسها لمدة ثلاثين سنة.

– ثلاثون سنة؟

– ثلاثون سنة، وبعد كده شبح الواد الطيب اكتشف هذا كله، وقرر إنه ينتقم من الواد الشرير وأبوه.

– ها وبعدين انتقم؟

– لأ ما قدرش لإن الواد الشرير استعان بساحرة شريرة قدرت إنها ترجع روح الواد الطيب الشبح إلى الجنة فلم يتمكن من الانتقام.. لكن أم الواد الطيب لما اتحررت من أسرها قامت بقتل البنت اللي بيحبها..

– قتلت البنت اللي ابنها بيحبها ولم تقتل الواد الشرير؟!

– وهي تقتل الواد الشرير ليه؟ هي قتلت البنت الطيبة علشان روحها تصعد مع روح حبيبها إلى الجنة..

– ياه دي قصة جامدة قوي يا مرجان ونهايتها حلوة!

– لأ ليس تلك هي النهاية، لإنّ الواد الطيب والبنت حبيبته اتولدوا من جديد..

– اتولدوا من جديد؟

– نعم.. ألم تسمع عن التناسخ.. أرواحهم اتخلقت في أجسام جديدة، وعندما كبرا أحبا بعضهما ثانيةً وتذكرا حياتهما الأولى.

- ياه وبعدين اتجوزوا صح؟

- لأ ما حصلش لإن الواد الشرير وأبوه قتلوهم تاني يوم فرحهم...

وقبل أن يسأل (عصام) أي سؤال، قاطعته صرخة ألم فظيعة أطلقها (مرجان) وهو يمسك بطنه: «آه! بطني تتقطع.. أنا أموت.. ماذا وضعت في الشاي يا عصام؟». وأخذ يصرخ و(عصام) كذلك يصرخ، وهو ينظر في رعب إلى (مرجان) الذي أصبح لون وجهه قرمزيًا كأنّه يختنق، وفجأة أخذ جسمه ينتفخ، وكذلك رأسه أخذتْ تنتفخ وتنتفخ كبالون يملأه الهواء، ثم انفجر جسده واختفى، وخلّف وراءه سحابة حمراء سريعًا ما تبددتْ في الهواء.

(١٤)

أخذ (عصام) لثوانٍ طويلة جامدًا في مكانه لا يحرك ساكنًا، يحملق مذهولًا في مكان (مرجان) الفارغ. ثم تحرك ببطء إلى حيث كان يجلس (مرجان) منذ لحظات، وأخذ بيديه يتحسس المكان ليتأكد أنّه بالفعل غير موجود. وبصوتٍ مختنق مبحوح أخذ ينادي: «مـ مرجان.. مرجان.. مرجان أنت مت؟ حقًا مت؟!». ثمّ أخذ يصرخ ويبكي ويلطم على وجهه: «أنا قاتل.. أنا قاتل.. أنا قتلتُ مرجان.. أنا قتلته.. سامحني يا مرجان.. سامحني!». ولكنّه توقف عن البكاء، وقال مستنكرًا: «ماذا؟ سامحني؟ من يسامح من؟ هو من اقتحم حياتي وسقاني المر وأرعبني وأخذ مالي.. هو من اضطرني لهذا الفعل المشين.. هو من جنى على نفسه.. على أيّ حالٍ انتهى الأمر.. ولا يجوز عليه إلا الرحمة.. الله لا يرحمه». ثم أخذ يرقص ويقفز في الهواء فرحًا كطفل، وهو يقول: «أخيرًا، أخيرًا الكابوس قد انتهى وارتحتُ منه.. لا أصدق!». وأخذ يغني: «في البحر سمكة.. سمكة! بتزق سمكة.. سمكة.. على الشط واقف.. واقف.. صياد بشبكة.. شبكة». ثم أخذ يضحك ويقهقه كمجنون.

ألقى (عصام) بجسده على الأريكة، ولكنّه غاص فيها كأنّما يغوص في ماء، وبالفعل وجد (عصام) نفسه ببيجامته الكستور يغوص في أعماق بحرٍ ما عميق إلى أقصى حد، فلا يرى في قاعه سوى الظلام، والأسماك من كل لونٍ تسبح في أسراب من حوله. دفع (عصام) بيديه ورجليه بكل قوته لكي يرتفع إلى سطح الماء، ثم كاد أن يموت رعبًا عندما شاهد سربًا من أسماك القرش

المفترسة تسبح بعيدًا ثم أخذتْ تقترب منه في سرعة مخيفة. وبصعوبة كبيرة وصل إلى سطح الماء، وما إن أخرج رأسه حتى أخذ يلتقط أنفاسه الضائعة في عمق، وهو يضرب الماء بيديه من حوله. نظر فوجد نفسه وحيدًا في بحر متسع الأركان، أخذ يجول برأسه الصغير ينظر في كل اتجاه فلا يرى سوى الماء والمزيد من الماء، والموج يرفعه ويهبط به، يتطلع في سماء زرقاء رائقة ليس فيها غيمة واحدة، فأخذ يصرخ ويصرخ: «انجدوني.. أغيثوني.. الحقوني!». وكاد يموت رعبًا وهو يرى زعانف أسماك قرش كثيرة (بارزة فوق سطح الماء) تشق الماء شقًا لتصل إليه، وأصبحتْ بالفعل قريبة منه.. ثم لمح صخرة قريبة منه، برزتْ فوق سطح الماء كأنّها جزيرة متناهية الصغر، فأخذ يسبح إليها بكل قوته ويسبح، وأسماك القرش المخيفة تطارده من خلفه، فيلتفتْ وينظر إليها برعب؛ فيجدها تقترب منه أكثر وأكثر، فصرخ واجتهد في السباحة حتى وصل إلى تلك الصخرة وأخذ يتسلقها في براعة متناهية حتى صعد فوقها، في نفس الوقت الذي كان فيه أحد القروش يخرج رأسه من الماء فاتحًا فكيه الملأين بأسنان حادة فتاكة وكاد أن يقضم بها قدمه، قدمه التي سحبها بأعجوبة من بين فكيه، فأطبق الوحش البحري بأسنانه الفظيعة على لا شيء، فأحدث تلاقي فكيه صوتًا رهيبًا هوى منه قلب (عصام) في قدميه رعبًا.

أخذ سرب أسماك القرش الشرسة يدور في حلقات حول صخرته العارية، إلا من بعض الطحالب البشرية والقواقع القديمة الملتصقة بها. ثم قامتْ بعض أسماك القرش بمحاولة للقفز إلى حيث يجلس (عصام) منكمشًا مرعوبًا فوق الصخرة، ولكنّهم لم يتمكنوا من الوصول إليه، و(عصام) لا يملك سوى الصراخ في رعب شديد: «الحقوني.. انجدوني.. أغيثوني..

وبالطبع لا يجيبه أحد، أي أحد».

بعد دقائق قليلة غاصتِ القروش وغابتْ في الماء مسرعة كأنّها تهرب من شيءٍ ما قد أخافها. وفي الأفق البعيد رأى (عصام) سرابًا لقارب بمحرك كهربائي يقترب من صخرته؛ فأخذ ينادي على صاحب المركب ويشاور إليه بيديه الاثنتَين، ويصرخ: «أنا هنا.. أنا هنا، انجدوني.. انجدوني». وبالفعل غيّر المركب من اتجاهه، وتحرك نحو (عصام) الذي أخذتْ ألوان الحياة تعود مرة أخرى إلى وجهه الشاحب الممتقع من الرعب.

اقترب القارب أكثر وأكثر، و(عصام) لا يستطيع أن يرى شخصية قائده من انعكاس ضوء الشمس الشديد في عينيه. فلمّا كان بينه وبين القارب عدة أمتار، سقط فك (عصام) في بلاهة، وهو يحدق في وجه قائد القارب غير مصدق، والذي هتف في صوتٍ ساخر: «أهلًا يا عصومي!».

– موووررجاااان.. مرجان! أما زلتَ على قيد الحياة يا مرجان؟! (صاح عصام متسائلًا).

أطلق (مرجان) (والذي كان يرتدي زي القراصنة كالشخصية الشهيرة «جاك سبارو» من سلسلة أفلام «قراصنة الكاريبي») ضحكات متقطعة وقال: «أنا بالفعل ما زلتُ على قيد الحياة يا عصومي.. لكن أنت.. أنت هو الذي على وشك محو اسمه من ذلك القيد.. هل تعلم أين أنت الآن يا عصومي؟».

هز (عصام) رأسه نافيًا وكان جسمه كلّه يرتعش من الخوف والبرد. فتابع (مرجان): «أنت في خندق ماريانا.. هل سمعتَ من قبل عن خندق

ماريانا؟».

أعاد (عصام) هز رأسه نافيًا، فاستطرد (مرجان): «خندق ماريانا هذا يا سيدي وما سيدك إلّا أنا.. يقولون عنه أعمق نقطة في كوكب الأرض، سواء في البر أو في البحر، هل تعرف يا عصومي كم يبلغ عمق الماء ها هنا؟ عمق الماء هنا لا يقل عن أحد عشر ألف كيلو متر.. بمعنى لو أغرقنا فيه جبل إيفرست، وهو أعلى جبل على سطح الأرض، لتبقى أكثر من كيلو مترين من الماء فوق قمته.. بمعنى آخر لو غرقت هنا يا عصومي، ستظل تهوي في الماء كحجر ولن تصل إلى الأعماق إلا بعد أكثر من شهر».

ثم أخذ (مرجان) يطلق ضحكات عالية، (وعصام) يزداد انكماشًا فوق صخرته يرتجف من الرعب والبرد.

أشار (مرجان) إلى سرب أسماك القرش الذي عاد يدور حولهما في حلقات، وقال: «هل ترى أسماك القرش تلك التي كاد أحدها أن يقضم قدمك كقطعة بقسماط؟ إنّها مجموعة من القرش الأبيض الكبير، والذي يعتبر أشرس كائن حيّ على وجه الأرض، وطلاق ثلاث لا رجعة فيه لن يتركوك حتى يقيموا عليك حفل كوكتيل..»، ثم استكمل ضحكاته الشريرة المتقطعة.

صرخ (عصام) متوسلًا: «أبوس يديك وقدميك يا مرجان.. أقصد يا عم مرجان.. يا سيدي وتاج رأسي.. أرجوك سامحني.. سامحني وخذني من هنا وسأبقى خادمك.. عبدك الذليل لآخر العمر.. أبوس يديك ورجليك أرجوك!».

هتف (مرجان) في شماتة: «أسامحك؟ بعدما حاولتَ قتلي بسم الفئران؟ أكثر ما يغيظني ويحرق دمي أنّك بعقل البندقة هذا ظننتَ أنّ جنيّ مثلي يموت بملعقتين من سم الفئران؟ يا بني عندنا في عالمنا نطعم سم الفئران هذا للأطفال قبل الأكل كي يفتح شهيتهم.. أنت انتهيت يا عصام.. سأتركك هنا ككلب أجرب. فإما أن تموت من البرد والجوع فوق تلك الصخرة، يا إما أن يقزقز جثتك وحوش البحر هؤلاء مثل اللب، وذلك سيحدث قريبًا عندما يرتفع المد ويغمر الماء الصخرة». ثم أدار (مرجان) محرك قاربه هامًّا بالرحيل، و(عصام) يصرخ متوسلًا: «أبوس يديك يا مرجان لا تتركني هكذا أرجوك!».

أوقف (مرجان) محرك قاربه، واستدار لـ (عصام) وعيناه مليئة بالشر، وقال وهو يبتسم ابتسامة صفراء: «هل ظننتَ أنني سأتركك ملقيًا هكذا فوق تلك الصخرة يا عصومي؟».

قال (عصام) وهو يطلق زفرة عميقة من قلبه: «كنتُ أعلم أنّ طيبة قلبك لن تسمح لك بأن تتركني في هذا المكان المخيف.. وأنّك سو...».

قاطعه (مرجان) وهو يقول له: «بالطبع لا، لن أتركك وحيدًا فوق تلك الصخرة يا عصومي». ثم فرقع بأصبعيه؛ فاختفت الصخرة وسقط (عصام) في الماء، فأردف (مرجان): «سأبقى ها هنا حتى أشاهد تلك القروش تمزق لحمك يا عصومي».

أخذ (عصام) يضرب الماء بيديه ويصرخ: «انجدني يا مرجان.. لا تتركني يا مرجان..». والأخير يضحك في شماتة، وارتفع صراخ (عصام) وتوسلاته

وهو يرى قطيع القروش يقترب منه ويقترب، ويدور من حوله في حلقات، حتى أخرج أحدهم رأسه من الماء وفتح فكيه عن آخرهما وهجم على (عصام) بضراوة؛ فوضع الأخير يديه فوق رأسه يحاول الدفاع عنها فأطبق القرش على رأسه بين فكيه.. فأخذ (عصام) يصرخ ويصرخ..

فتح عينيه فإذ به في حوض الاستحمام في حمام شقته، يضرب الماء بيديه ورجليه، و(مرجان) أمامه يكاد أن يسقط على ظهره من قوة الضحك والقهقهة.. فلما استوعب (عصام) أنّه في بيته بعيدًا عن الخطر، أخذ يتحسس جسده بيديه يطمئن أن كل عضو من أعضائه ما زال في مكانه الطبيعي، ثم خرج من حوض الاستحمام وأمسك بيد (مرجان) يقبلها في نهم، والأخير يضع كف يده الآخر أمام فم (عصام) ليقبله بدوره وهو يقول: «لا يا عصام، أستغفر الله، أستغفر الله». و(عصام) يقول له في رجاء: «سامحتني يا مرجان سامحتني؟».

قال (مرجان) في طيبة زائفة: «فقط كي تعلم أنّ قلبي طيب وأبيض من السكر والملح..»، ثم بَرَقَت عينا (مرجان) وقال في حزم: «لكن لو كررتَ فعلتك الخسيسة!!».

قاطعه (عصام) وهو يلثم كفيه مرة أخرى: «توبة.. توبة! لا يمكن أن أكرر ما فعلته أبدًا.. أبدًا!».

تركه (مرجان) وقال وهو يخرج من الحمام: «سنرى ذلك، بدّل ثيابك، واصنع لي كوبًا من الشاي، وهذه المرة أكثِر من السم، يبدو أنني قد أحببته كثيرًا!».

هتف (عصام) وهو يضم كفيه أمام وجهه كالهنود: «من عيني الاثنين، أنت تأمر يا عم مرجان.. أنت تأمر».

(١٥)

بينما كان يجلس (مرجان) كعادته فوق أريكة (عصام) المفضلة، يتابع مسلسله الهندي بشغف واهتمام، تموجتْ شاشة التلفاز كأنّها بركة ماء ألقي فيها حجر. اعتدل (مرجان) في جلسته كأنّه يتوقع ما يحدث. وفجأة طلّتْ من الشاشة رأس صغيرة لشخص أبيض اللون كبير الأذنين، ذي شارب صغير مبروم الطرفين وأنف مدبب.. ما إن رآه (مرجان) حتى قام إليه مسرعًا، ومدّ إليه يديه ليساعده على الخروج من الشاشة، وهو يقول في فرح: «يا أهلًا يا أهلًا يابن عمتي!». خرج رجل التلفاز بكامل جسده، واحتضن (مرجان) بقوة، وقال وهو يبتسم في سعادة: «مرجان ابن خالتي.. لقد افتقدتك كثيرًا يا رجل!».

أجلسه (مرجان) بجواره فوق الأريكة، وسأله في ضيق: «لماذا تأخرتَ كل هذا الوقت يا زيدان؟».

ربت الأخير بكفه على رجل (مرجان) وهو يقول: «لم أتأخر أبدًا.. أول ما هاتفتني وأخبرتني بطلبك المخصوص، سافرتُ سريعًا إلى المغرب وهأنا ذا أمامك». قال هذا ثم أخرج من بين طيات قميصه طربة حشيش ملفوفة بورق سيلوفان أحمر. التقطها (مرجان) كالبرق من يد (زيدان)، وأزال عنها غلافها الشفاف، وضغط عليها بأصابعه ثم رفعها إلى أنفه الكبير.. شمّها وقال لـ (زيدان): «المهم أن يكون صنفًا ممتازًا».

قضب (زيدان) ما بين حاجبيه، وقال في ثقة: «عيب عليك يابن خالتي..

منذ متى وزيدان فخر الجان يأتيك بصنف مغشوش؟ إنّها حشيشة أصلية من تحت المكبس إلى يديك مباشرة، واسمها ودّع أهلك».

أعادها (مرجان) إليه وربتَ بكفه على فخذ (زيدان)، وقال: أنا فقط أمزح معك يابن عمتي.. وهل معك العدّة أم سنرسل في طلبها؟».

«للمرة الثانية تشكك في قدرات ابن عمتك؟» قال زيدان، ثم أردف: «عيب عليك». أدخل يده بين طيات قميصه الأبيض الفضفاض، فأخرج نارجيلة مزخرفة طويلة ترتفع لأكثر من متر.. وضعها بينه وبين (مرجان)، ثم دسّ يده الأخرى في طيات قميصه وأخرج وعاء خزفي كبير به فحم مشتعل، وضعه تحت قدميه.. ثم أخرج من الجانب الآخر من قميصه قطعة خشبية مربعة مرصوص فوقها عشرة أحجار من أحجار النارجيلة محشوة بأفخر أنواع المعسل، وضعها على الطاولة أمامه.. ثم من الجانب الآخر أخرج طبقًا كبيرًا فيه كمية كبيرة من فواكه متنوعة.. ثم أخرج طبقًا آخر ممتلئًا بالمكسرات والمقرمشات، ثم أخرج أكثر من عشرين علبة بيرة.. وضع كل تلك الأشياء فوق المنضدة أمامه، ثم أمسك بطربة الحشيش، فقسمها نصفين.. ترك نصف فوق المنضدة وأمسك بالنصف الآخر فضغط عليها عدة ضغطات بين كفيه، فانقسمتْ إلى العديد من القطع الصغيرة، وضعها فوق المنضدة، ثم أخذ بعضًا منها وألقاها فوق موقد الفحم المشتعل تحت قدميه، فاحترقتْ وخرج منها دخانًا كثيفًا عبأ جو الصالة كلها.. ثم أخرج (زيدان) من جيب قميصه علبة سجائر، وضع عليها بضع قطع من الحشيش، ثم ضغط عليها بين كفيه فتساقطتْ منهما السجائر ملفوفة فوق المنضدة، ثم أخذ قطعًا من الحشيش

ودسّها بسرعة كبيرة في أحجار الشيشة العشرين، وأخذ أحدها ووضعه فوق النارجيلة وأخذ يسحب منها عدة أنفاس، فخرج من فمه وأنفه دخان كثيف، ثم ناولها لـ (مرجان) الذي تناولها منه بسعادة كبيرة وأخذ يشد منها الأنفاس، وهو يقول في زهو وسعادة لـ (زيدان): «مدرسة.. طوال عمرك وأنت مدرسة يابن عمتي».

عند ذلك دخل (عصام) يحمل بين يديه صينية صغيرة عليها كوبين من الشاي، فلما باغته الدخان الكثيف سعل سعالًا شديدًا، وهتف في قلق: «ما كل هذا الدخان يا مرجان؟ هل أشعلتَ النار في الشقة أم ماذا؟». ثمّ تجمد في مكانه عندما شاهد الشخص الغريب ضئيل الحجم غريب الشكل الذي يجلس مع (مرجان) ويدخنان النارجيلة ويشربان البيرة.

«تعال يا عصومي لا تخف.. هذا ابن عمتي زيدان جاء ليزورنا.. تعال» قال (مرجان) وهو يشير إلى (عصام)بالجلوس بينهما فوق الأريكة. ازدرد (عصام) ريقه بصعوبة وغمغم: «ابن عمتك! فعلًا هذا ما كان ينقصني».

«أتقول شيئًا يا عصومي؟» سأل (مرجان). فتلعثم (عصام) وهو يضع صينية الشاي فوق المنضدة ويجلس رغمًا عنه بينهما قائلًا: «لا لا أبدًا، أقول فقط أهلًا وسهلًا.. إنّ البيت بيتكما وأنا فقط ضيفٌ عندكما». ثم مدّ يده ليصافح (زيدان)، فسلم الأخير عليه. هبّ (عصام) من مكانه مفزوعًا وهو ممسك بيد (زيدان)، وذلك لأنّه وجد لـ (زيدان) يدين آخرتَين، أحدهما تهوي بمروحة فوق الفحم المشتعل وأخرى تمسك بخرطوم النارجيلة. تراجع (عصام) إلى الخلف مفزوعًا وهو يهتف في اندهاش: «ما هذا؟ إنّ

لقريبك ثلاثة أيادي يا مرجان!».

أخذ (مرجان) و(زيدان) يضحجان بضحكٍ مرتفع، وقال (مرجان) لـ (عصام) وهو يشير إليه بالجلوس: «ماذا بك يا عصومي؟ يبدو أنك انسطلتَ على الرائحة». جلس (عصام)، فأخذ (زيدان) سيجارة ملفوفة من أمامه ومدّ يده بها إلى (عصام) قائلًا: «مساء الخير عليك يابن خالتي!».

هز (عصام) رأسه نفيًا وقال: «أنا لا أدخن السجائر».

ناوله (زيدان) النارجيلة، فأعاد هزّ رأسه وقال: «آسف ولا أدخن النارجيلة».

ناوله علبة من علب البيرة، فهزّ رأسه للمرة الثالثة وقال بأدب: «عذرًا فأنا أيضًا لا أشرب البيرة». تعجب منه (زيدان) وقال ساخرًا: «لا تشرب سجائر ولا شيشة ولا بيرة! لماذا إذًا تعيش يابن خالتي؟».

تدخل (مرجان) وقال لـ (عصام) في جدية: «نصيحة مني يا عصومي.. خذ البيرة من ابن عمتي لأنّه شديد العصبية وقد يغضب». فأخذها (عصام) خائفًا وتناول رشفة منها، وأعادها إلى (زيدان) وقال متقززًا وهو يمسح فمه: «إن مذاقها سيئ للغاية! كيف تشربون هذا القرف؟»، ولكن (عصام) أعادها مرة أخرى وشرب منها عندما رمقه (زيدان) بنظرة مخيفة، وهو يقول: «لكن في نفس الوقت حلوة.. حلوة جدًا».

قهقه (مرجان) وقال: «عامةً ليس هناك داعٍ لأن تشرب أي شيء، لأنّك سوف تنسطل من الدخان على أيّ حال».

سأل (عصام): «والأخ زيدان ماذا يعمل؟».

قام الأخير ووقف أمامهما، وثبتَ عينه على وجه (عصام) وقال: «أحب أن أعرفك بنفسي، أنا زيدان بن حمدان بن زهران، ابن عمة مرجان، فخر الإنس والجان..»، ثم دار حول نفسه دورة كاملة فتحولتْ ثيابه إلى ثياب ساحر السيرك التقليدية؛ الفراك والقبعة السوداء الطويلة، والوشاح الأسود المبطن باللون الأحمر خلف ظهره. ضم (زيدان) كفيه على بعضهما البعض وفتحهما؛ فخرجت منهما ثلاث حمامات بيضاء، طارتْ في الهواء وحلقتْ فوق رؤوس الجميع، ثم تحولوا إلى دخان تبدد في الهواء..أخرج (زيدان) من بين كفيه عصًى قصيرة، ثم هزها بقوة فتحولتْ إلى مزمار، أخذ ينفخ فيه فخرجتْ منه أنغام جميلة باهرة.. وبينما يعزف خرج من حجر النرجيلة خيط غليظ طويل من الدخان، أخذ الخيط يتراقص ويتكاثف على أنغام مزمار (زيدان) كحية الكوبرا. ثم أخذتْ تلك الحية الدخانية تتراقص وتدور حول (زيدان).. أخفى الأخير مزماره ثم أمسك بالحية الدخانية من ذيلها، فأخذتْ تتمايل يمينًا ويسارًا وتصدر من فكها المفتوح فحيحًا مخيفًا أرعب (عصام) وجعله ينكمش في مكانه خائفًا. وفجأة وجّهتِ الحية رأسها صوب (عصام)، وأخذت تحدق فيه بنظرات مرعبة ويتضرب الهواء بلسانها المشقوق. ثم هاجمتْ (عصام)؛ فوضع الأخير كفيه أمام وجهه يحميه وصرخ في فزع، إلّا أنّ (زيدان) جذب حية الدخان من ذيلها ونفضها في الهواء نفضة قوية، فتحولتْ إلى العصى السحرية القصيرة.

انطلق (زيدان) و(مرجان) في القهقهة سخريةً من (عصام) الذي أخذ

يصفق بيديه في حرارة كالأطفال مندهشًا ومعجبًا بعرض (زيدان) السحري.

دار (زيدان) حول نفسه دورة كاملة فاختفتْ ملابس الساحر وعاد إلى ملابسه العادية. أدى التحية المسرحية لـ (مرجان) و(عصام)، ثم عاد إلى مكانه فوق الأريكة بجوارهما.

هتف (عصام) كطفل متحمس: «ما هذا الأداء العظيم؟ أنت بالفعل ولا حواة السيرك».

رمقه (زيدان) بنظرته المخيفة الغاضبة، وصاح فيه مستنكرًا: «وما لهم حواة السيرك؟ أليسوا على قدر مقام معاليك الرفيع؟».

لم يفهم (عصام) سبب هجوم (زيدان) عليه، ولكن (مرجان) تدخل بينهما وقال لـ (عصام): «على فكرة يا عصومي.. زيدان ابن عمتي فعلًا يعمل في السيرك الروسي.. فاحترس من كلامك وإلّا غضب.. وغضبه غبي فهو ليس مثلي طيب القلب».

تلعثم (عصام) وهو يقول معتذرًا: «آسف يا أستاذ زيدان.. لعلمك أنا من عشاق السيرك، رغم أنني لم أدخله ولا لمرة في حياتي كلها».

تبسم (زيدان)، وقال في هدوء: «وأنا يشرفني أن تحضر إلى عندنا في السيرك، وتراني وأنا على خشبة المسرح.. ستنبهر يا عصومي».

«عصومك؟» غمغم (عصام). إلّا أنّ (زيدان) لم يعره بالًا، فقط نظر إلى (مرجان) وقال: «عذرًا يابن خالتي.. سأضطر للذهاب الآن لأن موعد الفقرة الخاصة بي قد اقترب». ثم مدّ يده إلى (عصام) ليصافحه، وقال:

«فرصة نظيفة يا عصومي.. أراك على خير». فلمّا أمسك (عصام) بيده، تراجع (زيدان) إلى الخلف تاركًا كف يده في قبضة (عصام)؛ الذي فزع ورفع كف (زيدان) أمام وجهه، فلمّا وجد الكف حيًا وأصابعه تتحرك، رماه من يديه وصرخ في رعب، بينما انفجر (زيدان) و(مرجان) في كركرة وسخرية من (عصام).

وقف (زيدان) وأدى لهما التحية المسرحية، وبدون كلام آخر دار حول نفسه دورة كاملة، فاختفى وتبدد في الهواء بينما وقف (عصام) خائفًا مذهولًا للحظات، ثم ألقى بجسده فوق الأريكة بجوار (مرجان)، وأخذ يدعك جبهته بكلتَي يديه. فسأله (مرجان): «ما بك يا عصومي؟».

– لا أعلم، أشعر فقط بدوار غريب.

– ألم أقل أنّك ستنسطل على الرائحة.. هيا قم واخلع تلك البيجامة العجيبة التي ترتديها، وضع مكانها طقمًا فخمًا؛ لأننا سنخرج لنشم الهواء النظيف.

– وإلى أين سنذهب الآن ونحن في منتصف الليل؟ أنا لديّ عمل في الصباح.

– لن نتأخر.. ولو تأخرنا خذ الغد أجازة.

– أين سنذهب؟ الحسين؟

– الحسين؟ لا لا سنذهب إلى.. هيا سأجعل هذا الأمر مفاجأة لك.

حاول (عصام) أن يقوم من فوق الأريكة، ولكن قدماه لم تحملاه فلم

يقدر، حاول أن يستند على المقعد بجواره ليقف، فوضع يده على الهواء فترنح وسقط أرضًا. قام إليه (مرجان) وساعده على النهوض.

«أنت ما شاء الله عليك في الضياع، ودون أن تشرب شيئًا!» قال (مرجان).

«لا أنا تمام.. تمام» رد (عصام) وهو يحاول أن يتظاهر بالتماسك.

– اسمع.. سوف أعطيك حبة ستجعلك بالفعل تمام التمام. (ثم دسّ يده داخل بنطاله بالقرب من عانته، وأخذ يبحث عن شيء ما).

سأله (عصام) في ريبة: «ماذا ستعطيني بالضبط يا مرجان؟ على فكرة أنا متيقظ ومنتبه لك وآخر تركيز».

«وجدتها!» صاح (مرجان)، وأخرج حبة دواء صغيرة ذات لون أزرق قاتم ناولها لـ (عصام). أمسكها الأخير بين أصابعه وسأل في اهتمام: «هل تحمل أقراص الدواء في سروالك الداخلي؟».

ضحك (مرجان)، وقال وهو يشير إلى ملابسه: «كما ترى ليس في ثيابي من جيوب.. إلا جيب واحد أحمل فيه صورة حبيبة قلبي (صبا)، هل تريد أن تراها؟».

– لا لا شكرًا، لكن يبقى السؤال: هل تحمل أشياءك في سروالك الداخلي؟

– يا بني أنا صنعتُ جيبًا سريًا في السروال الداخلي من الخارج، أحمل فيه أشيائي الضرورية.. دعك من هذا وخذ هذه الحبة ولا تصدع دماغي.

ولم يمهله (مرجان) للرد، بل أقحم القرص داخل فمه، ثم فرقع بأصبعيه، فظهر في يده كوبٌ من الماء، وضعه على فم (عصام) وتركه ليشرب منه القليل ليبتلع القرص. ثم قال له: «أمامك حوالي عشرون دقيقة ليبدأ مفعول الحبة.. أسرع يا عصومي وارتدِ ملابس ثقيلة».

(١٦)

مر وقت طويل و(مرجان) جالسًا على الأريكة في الصالة ينتظر خروج (عصام)، فلما شعر بالقلق دخل إلى غرفته فوجده نائمًا داخل خزانة ملابسه.

«يخرب بيتك.. دماغك خفيفة قوي!» قال (مرجان)، ثم ذهب إليه وجره من قدميه خارج الخزانة، ثم فرقع بأصبعيه فأحضر دورق مياه، وأفرغ ما فيه على وجه (عصام) الذي انتفض صارخًا: «ماذا؟ أين أنا؟ أين أنا؟».

«قم يا حبيبي قم» قال (مرجان) وهو يساعده على النهوض.

– منك لله يا مرجان يابن أم مرجان على كل ما تفعله بي!

– وماذا فعلتُ بك يا بني آدم؟ أنت اللي دماغك خفيفة مثل ريشة.. عمومًا لا داعي لتبديل ملابسك، أنا سأتصرف.. هيا تعال معي.. هيا».

أمسك (مرجان) بيد عصام وسحبه وراءه، فالتقط (عصام) منشفة ووضعها على رأسه يجفف شعره من الماء. فتح (مرجان) باب غرفة (عصام) وخرجا منه وأغلقه خلفه، فشعر (عصام) بريح باردة تضرب جسده، ولما رفع المنشفة من فوق رأسه المبلل وجد نفسه في أحد الشوارع الخلفية لمنطقة سكنية غريبة لم يرها من قبل، فأخذ ينظر حوله لربما يتعرف على المكان، فسأل (مرجان) في خوف: «إلى أين ذهبتَ بنا يا مرجان؟». ولم يرد عليه (مرجان) بكلمة، واستمر في سحبه من يده حتى خرجا إلى الشارع العمومي.

وهنا أسقط في يد (عصام)، وتدلى فكه السفلي في بلاهة، واتسعتْ عيناه

في دهشة، وذلك عندما وجد نفسه في مدينة أجنبية كبيرة، كل شوارعها ومبانيها ومتاجرها مضاءة بمصابيح النيون العملاقة، وفي كل مكان تنتشر اللافتات الإعلانية الضخمة.

«أين نحن يا مرجان الله يحرقك؟» صاح (عصام) متسائلًا.

ارتسمتِ ابتسامة كبيرة على وجه (مرجان) وهو يقول في حماس: «نحن في المدينة التي لا تنام، مدينة الخطيئة، نحن في لاس فيجاس».

***

«فيجاس؟ فيجاس هذه التي في أمريكا صح؟» قال (عصام) في تساؤل واندهاش.

رد عليه (مرجان) في سخرية: «لا، فيجاس التي في بنها! طبعًا فيجاس أمريكا».

صاح فيه (عصام) وهو يمسك ببيجامته: «ذهبتَ بي إلى فيجاس بالبيجامة الكستور يا مرجان؟».

رد عليه (مرجان) في لا مبالاة: «هذه ليستْ مشكلة أبدًا». ثم أمسك بيد (عصام) وجذبه إليه وأداره حول نفسه كما يحدث في الرقص، فتحولتْ بيجامة (عصام) الكستور إلى بذلة زرقاء لامعة بصديري كالتي كان يرتديها نجوم هوليود في الخمسينات، تحتها قميص أبيض بكرانيش وبرنيطة زرقاء طويلة وفي يده عصى قصيرة، ثم أشار (مرجان) إلى (عصام) ليرى نفسه في انعكاس واجهة أحد المتاجر، فلما نظر (عصام) إلى نفسه، صاح في (مرجان):

«ما هذا القرف الذي أرتديه؟».

ضحك (مرجان) قائلًا: «ده لبس آخر إليجانت (elegant)».

ردّ عليه (عصام) مستنكرًا: «إليجانت؟ ما هذا الكلام؟ أنا أشبه (ويلي وانكا) من فيلم مصنع الشوكولاتة».

– وماذا يعيب (ويلي وانكا)؟ رجل عصامي بنى نفسه بنفسه.. ثم إليجانت يعني أنيق بالفرنسية يا جاهل.

– وماذا عنك أنت؟ هل ستظل شاروخان في نفسك هكذا؟

– هل ستعيب أيضًا في شاروخان؟ عمومًا لا تزعل.

ثم دار (مرجان) دورة كاملة حول نفسه، فتحولتْ ملابسه إلى مثل ملابس (عصام) ولكن بذلة صفراء، فأخذ (عصام) يضحك على (مرجان)، فرمقه الأخير بنظرته المخيفة، فكف (عصام) عن الضحك وابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول: «لا اهدأ يا حبيبي اهدأ، نحن في بلد أجنبي لا تجعل الناس الغريبة هذه تتجمع من حولنا».

– تعال يا عصومي، سوف أجعلك تقضي ليلة العمر كله الليلة.. أين تحب أن تذهب؟

– أين أحب أن أذهب؟ اسمع استمر أنت فيما تفعله، واعتبرني حقيبة أتيتَ بها من مصر.

– إذًا فلنذهب لنشاهد نافورة البلاجيو.. أنا أحبها كثيرًا!

سار الاثنان في شوارع فيجاس المبهرة، يمرون بين جموع الناس بملابسهم المختلفة والغريبة، ثم توقفا أمام نافورة البلاجيو الشهيرة، حيث تتراقص المياه على أنغام الموسيقى الساحرة. ومن خلفهما كان يطل مجسم البرج الفرنسي الأشهر برج إيفل بأضوائه المتفجرة، ويحيط بالجميع فندق النافورة الشهير فندق بلاجيو.

عانى (عصام) طوال الوقت من رفع فكه السفلي الذي كان كثيرًا ما يتدلى أمام تلك المشاهد الجمالية الرائعة التي يشاهدها في كل ركن من أركان تلك المدينة الخلابة.

«هل تشعر بالجوع؟!» سأله (مرجان). فهزّ الأخير رأسه موافقًا. فأخذه (مرجان) ودخل به إلى أحد المطاعم الفاخرة، واندهش (عصام) عندما وجد أنّ كافة العاملين كبار السن بالمطعم يعرفون (مرجان)، واختاروا لهما مقعدَين مميزَين مخصصَين للشخصيات المهمة جدًا (VIB)، وتفاجأ (عصام) أيضًا بطلاقة لسان (مرجان) في الإنجليزية والفرنسية، وتفاجأ أكثر وأكثر عندما وجد نفسه يفهم كل كلمة تُقال. فسأل (مرجان) وبلغة فرنسية طَلِقة: «ما هذا يا مرجان؟ كيف أفهم أنا الفرنسية وأتكلم بها؟».

ضحك (مرجان) وهو يرد عليه باللغة الفرنسية: «الحبة الزرقاء التي أعطيتها لك في مصر هي السبب».

سأله (عصام) في تعجب: «ماذا؟ حبة سحرية أكيد، صح؟».

ضحك (مرجان)، وقال له وهو يعتدل فوق مقعده الوثير: «كل شيء لا تفهمونه يا بني آدم تقولون عليه سحر. كل العلم والتكنولوجيا التي وصل

إليها الإنسان اليوم، كان الناس قديمًا يقولون عنها سحر وشعبذة وخيال ومستحيل...» قاطعه نادل المطعم وهو يسألهما عن طلبهما، فسأل (مرجان) (عصام): «تطلب أم أطلب لك؟».

قال له (عصام): لا، أطلب أنت بالطبع.

أخبر (مرجان) مقدم الطعام أن يحضر له طلبه المعتاد. فلما انصرف أقبل (عصام) على (مرجان) يسأله: «ألن تخبرني يا (مسيو) مرجان كيف أنّ كل الناس هنا يعرفونك؟».

رد عليه (مرجان) في زهو: «لا أبدًا الموضوع وما فيه أنّ (المسيو بيير غانيير) صاحب سلسلة المطاعم هذه، كان صديقي وعملنا معًا في باريس في فترة السبعينات، وعندما افتتح هذا الفرع في لاس فيجاس دعاني لحضور الافتتاح ولبيت دعوته، من أجل هذا تجد الناس القديمة في هذا المكان كلهم يعرفونني».

– إنّك بالفعل حكاية كبيرة يا مرجان، ألم يأن الأوان لتحكي لي حكايتك؟

– فيما بعد يا عصومي فيما بعد سأحكي لك كل شيء...

قاطعهما النادل وهو يضع على المنضدة أمامها زجاجة كبيرة فاخرة، فتحها ثم صب القليل منها في كأس (مرجان) الذي أخذه وارتشف منه رشفة صغيرة، وتشمم رائحتها، فأشار بالموافقة للنادل الذي أعاد ملء كأسه وملأ كأس (عصام)، ثم وضع الزجاجة أمامهما وانصرف.

سأل (عصام): «ما هذا؟ أنا لا أشرب الخمور».

رفع (مرجان) الكأس أمامه، وقال: «لا هذا ليس خمرًا، هذا عصير عنب».

قال له (عصام) في ارتياح: «طالما عصير إذًا لا مشكلة». ثم قرع كأسه بكأس (مرجان)، وما هي إلا دقائق قليلة حتى بدأتِ الأطباق تنزل أمامهما، وبدءا الاثنان يتناولان في نهم ذلك الطعام الفاخر الذي قُدم إليهما.

أثناء تناولهما الطعام كانتْ هناك امرأة فاتنة الجمال بملابس فاضحة جالسة بقربهما، تتطلع إلى (عصام) بنظرات مغرية وابتسامات لطيفة، وأخذ هو يبادلها النظرات والابتسامات اللطيفة على استحياء. فتنبه إليهما (مرجان)، ثم نظر نظرة فاحصة للمرأة، ثم قال لـ (عصام): «دعك منها».

رد عليه (عصام) في استفهام: «أدعني مِن مَنْ؟».

- من التي تبادلها النظرات والابتسامات.

- ولماذا يا (مسيو) مرجان؟ اتركني أعيش اللحظة.

- إنّها ليستْ كما تظن، إنّها شيميل (Shemal).

- شيميل؟ ما معنى تلك الكلمة؟

- تعني أنّها رجل من أسفل وامرأة من أعلى.

ما إن سمع (عصام) هذا الكلام حتى أصابه الغثيان وكاد يلفظ ما في بطنه، فقاوم ذلك الإحساس، ثم نزع منديل المائدة من رقبته، وألقاه على المنضدة أمامه، قائلًا لـ (مرجان): «ما هذا القرف؟ لقد فقدتُ شهيتي.. هيا

بنا من هذا المكان.. أستغفر الله العظيم!»

– إننا لم نتذوق التحلية بعد، إنّها هنا شيئًا يفوق الخيال.

– لا تحلية ولا تعزية، أنا أشعر بالغثيان.. هيا بنا.

طلب (مرجان) الفاتورة وحاسب النادل، وترك إكرامية كبيرة جعلتِ الأخير يشكره أكثر من مرة ويركض أمامهما ليأتي لهما بالقبعات والعصيّ.

بعد ذلك أخذ (مرجان) (عصام) وأدخله إلى صالة القمار الملحقة بفندق «البلاجيو»؛ معلم آخر خاص من معالم مدينة الخطيئة. في الطريق شاهدا زوجين شابين يزوّجهما شبيهًا بالمغني العالمي الراحل «ألفيس بريسلي». ثم وقفا معًا أمام طاولة «الروليت». أحضر (مرجان) بعضًا من «فيشات» اللعب وناولها لـ (عصام) طالبًا منه أن يضعها على بعض الأرقام أو الألوان على الطاولة، فوضع نصفها على الرقم ٧ لون أسود، ووضع آخرين رهاناتهم، ثم أوقف مسؤول اللعبة الرهانات بعد أن ألقى بالكرة عكس اتجاه دوران عجلة الروليت، وما هي إلا ثوانٍ حتى توقفتِ الكرة في الرقعة ٧ لون أسود، فصاح (مرجان) والحاضرون و(عصام) لا يعلم أنّه فاز حتى هنأه (مرجان) بالفوز. جمع مسؤول اللعبة الفيشات من فوق الطاولة ووضعها أمام (عصام)، الذي أخذ نصفها ووضعهم مرة أخرى على نفس الرقم، ودارتْ عجلة الروليت و(فاز) عصام مرة أخرى وأخرى حتى تجمع الناس حوله يهنئونه ويضعون رهاناتهم في أي رقعة يراهن عليها.. ظلّ (عصام) يراهن ويراهن حتى أمره (مرجان) أن يتوقف، وجمع كل الفيشات التي فاز بها، ثم سأله (مرجان): «هل تعلم كم كسبتَ يا عصومي؟». فهزّ (عصام) رأسه نافيًا، فقال له: «لقد

كسبتَ حوالي خمسين ألف دولار».

أخذ (عصام) يصرخ ويقفز في مكانه فرحًا، ولكنه فجأة توقف في مكانه وقال لـ (مرجان) في حزن: «لكن هذه أموال قمار.. أموال حرام وأنا لا يمكن أن أعود بها إلى مصر».

ضحك (مرجان)، وقال له وهو يسحبه ليرحلا: «ومن قال لك أنّنا سنعود بهم؟ كل هذه الأموال ستُصرف هنا قبل أن يطلع علينا النهار.. هيا معي يا حبيبي هيا».

أخذ (عصام) و(مرجان) طوال الليل يتنقلان ما بين الملاهي الليلية، وينفقان الأموال يمينًا ويسارًا، ويعاملهم الجميع معاملة الملوك والأمراء، حتى أنّهما استأجرا طائرة مروحية لمشاهدة معالم وسط مدينة فيجاس ورؤية فنادقها ومعالمها من السماء، وعند شروق الشمس طارتْ بهما الطائرة فوق جبال الـ «جراند كانيون» وشاهدا معًا شروق الشمس فوق تلك الجبال الحمراء الرائعة الخلابة.. وكان ذلك آخر ما رآه (عصام) الذي سقط على كتف (مرجان) نائمًا من الإجهاد والتعب.

(١٧)

كان يتقلب في فراشه غارقًا في النوم عندما رن جرس الشقة. أحدهم يضع يده على زر الجرس لا يرفعه! فتح (عصام) عينيه بصعوبة بالغة.. ثم نزل بمعاناة من فوق الفراش يحك رأسه بقوة، ويمسح وجهه بكفيه لعله يفيق من النوم، حتى أنّه فكر في العودة مرة أخرى إلى الفراش لولا أنّ صوت الجرس المزعج والطرقات المتتالية على الباب منعاه. الصداع يشق رأسه شقًا، وكان تقريبًا فاقدًا للذاكرة؛ لا يتذكر أي شيء، حتى عندما وضع يده على جيب بيجامته وأخرج منها إحدى فيشات القمار، أخذ يتطلع إليها في بلاهة لا يدري ما هذه وما الذي أتى بها إلى جيبه.

كان يتحرك ببطء إلى باب الشقة كالموتى الأحياء (الزومبي) بنصف عين ونصف وعي.. وما إن فتح الباب حتى طار النوم تمامًا من عينيه.. «عصوم!!!» صاحتْ أخته(مشيرة) وهجمتْ عليه لتحتضنه وتقبله في شوق.. «وحشتني يا عصوم» كذلك هتف أخوه (مجدي) وهو يحتضنه ويقبله بقوة. كل هذا و(عصام) ما زال لم يفق من أثر الصدمة والمفاجأة.

هتف (عصام) بصوت مكتوم: «مشيرة! مجدي! ما الذي أتى بكما؟ أقصد حمدًا لله على سلامتكما.. أهلًا وسهلًا.. تفضلا تفضلا..».

دلفتْ (مشيرة) بخديها المتوردين وجسدها الأبيض السمين الملتف بعباءتها الخليجية السوداء، وخلفها (مجدي) بنحافته وشعره الرمادي يحمل حقائب السفر إلى داخل الشقة، تبعتهما شابة جميلة محجبة في سن المراهقة..

«تعالي يا خَوَلَة صافحي خالك عصام» قالتْ (مشيرة). فاحتضنها (عصام) وقبّل جبينها وهو يقول: «لا أصدق يا خولة أنك كبرتِ بهذه السرعة.. لقد صرتِ عروسًا ما شاء الله!».

«ما هذا النوم كله يا عصام؟ ألا يوجد لديك عمل اليوم؟» قال (مجدي) وهو يجلس فوق الأريكة في غرفة الجلوس.

رد عليه (عصام) في فتور وكسل: «لا أنا اليوم إجازة».

«كم أفتقد هذا المنزل! إنّ كل شيء في مكانه لم يتغير» قالتْ (مشيرة) بعاطفية كبيرة وهي تتجول بعينيها بين أرجاء الشقة، ثم تابعتْ بجدية: «إياك أن تكون قد تزوجتَ يا عصام ولم تخبرنا!».

«لا لم أتزوج.. وكما قلتِ، إنّ كل شيء في مكانه لم يتغير.. حتى أنا ما زلتُ في مكاني لم أتغير» قال (عصام).

«يبدو أنكّ غير سعيد لرؤيتنا يا عصام!» قال (مجدي) في عتاب.

رد عليه (عصام) سريعًا: «لا أبدًا أنا سعيد للغاية، كلّ ما في الأمر أنني قد تفاجأتُ قليلًا».

«إنّ لك كل الحق أن تزعل يا عصام لأننا لم نكن نسأل عليك، لكن أنت تعلم الدنيا وشواغلها» قالتْ (مشيرة)، ثمّ أشارتْ إلى ابنتها وقالتْ: «أرأيتَ كيف كبرت البنت يا عصام؟».

«نعم بالفعل، ما شاء الله قد صارتْ عروسًا مثل البدر» رد (عصام). فأردفتْ (مشيرة): «إنّها الآن في الصف الثالث الثانوي وستدخل بإذن الله

كلية الإعلام جامعة بن زايد.. وأخوها عليّ في كلية الهندسة، ويعمل في الإجازة بإمارة أبو ظبي مع أبيه سمير، لهذا لم يتمكن من القدوم معنا».

«الله أكبر ما شاء الله، إن شاء الله تزوجيهم وتحملين بين يديك أولادهم عن قريب» قال (عصام)، ثم أردف: «وأنت يا مجدي، أين المدام والأولاد؟ لماذا لم يأتوا معك؟».

زفر (مجدي) زفرة قوية وهو يقول في أسى: «المدام والأولاد؟ الأولاد كبروا يا أخي وذهب كلٌّ منهم ليشق طريقه بعيدًا عني أنا وأمهم، أصبحتُ لا أراهم ولا هم يسألون عني.. وأمهم طوال الوقت غاضبة وكثيرًا ما تطردني من البيت.. المهم.. طمئني عليك أنت، ما هي أخبارك؟».

– أنا الحمد لله، هل أتيتم في زيارة أم لأمر آخر؟

أخذ كلٌّ من (مجدي) و(مشيرة) يتطلعان إلى بعضهما البعض، وقبل أن ينطق (مجدي)، عاجلته (مشيرة) وقالتْ: «بالطبع نحن في زيارة.. بضعة أيام ثم يعود كلٌّ منّا إلى حياته، فأنت تعلم يا عصام أنني لا أقدر على ترك سمير وعليّ وحدهما.. بصراحة يا عصام نحن قد قدمنا من أجل موضوع.. لكن أنا خجلة منك..».

«لا داعي للخجل أبدًا» قال (عصام)، ثم تابع: «على العموم أنا أعلم سبب تلك الزيارة المفاجأة.. بالأساس لن يجتمع الشامي مع المغربي إلّا لأمر في نفس يعقوب.. وأنا أعلم ما في نفسيكما.. أنتما لم تأتيا لزيارة الأخ الصغير الوحيد والاطمئنان عليه كما تزعمان.. أنتما أتيتما لأنّ الحاج عمران خاطبكما في أمر بيع الشقة.. أليس كذلك؟ ها؟».

أخذ (مجدي) و(مشيرة) يتبادلان النظرات، وقبل أن ينطق أحدهما قال (عصام): "هان عليكم بيت العائلة الذي ولدنا به وعشنا فيه مع والدينا، والدينا اللذَين ما زالتْ رائحتهما المباركة تعبق بالمكان؟».

قال (مجدي) بصوت خفيض: «ماذا يمكننا فعله يا عصام؟ الظروف صعبة للغاية، وأنا عن نفسي أحتاج للمال أشد الاحتياج».

وقالتْ (مشيرة): «والله يا عصام يا أخي لو تعرف الظروف، مصاريف الأولاد والجامعة أصبحا حملًا لا نطيقه.. وأهو بنصيبك من المال تستطيع أن تشتري لك شقة حلوة وصغيرة، وتتزوج يا أخي ونفرح بك أنت أيضًا».

قاطعها (عصام) ساخرًا: «يا عيني! فعلًا صعبتم عليّ، إنّ قطعة واحدة من المجوهرات التي عليك يا مشيرة بثمن هذه الشقة وتزيد.. وأنت يا مجدي قد صار لك بأمريكا أكثر من عشرين عامًا ولا تملك شيئًا؟ ثم أخيرًا كل ما تفكران فيه هو بيع الشقة.. بيت العائلة الذي هو آخر خيط يربطنا ببعض؟ يا لكما من جاحدين!».

هتف (مجدي) في صلف: «لكن هذا حقنا يا عصام، ميراثنا من أبينا يا أخي!».

صاح فيه (عصام) غاضبًا: «ما شاء الله تبحثون فقط عن الذي لكما، لكن هل بحثتما يومًا عن الذي عليكما؟ بحثتما عن أبيكم الذي مات من قهره منكما، عندما سافر كل منكما إلى بلد وعاش حياته ولم يكلف نفسه حتى أن يرفع سماعة الهاتف ويطمئن عليه وعلى أحواله؟ حتى في عز مرضه وحاجته إليكما لم يفكر أحدكما في أن يكلف نفسه ويأتي لزيارته! اسمعاني

جيدًا.. بصراحة ومن الآخر لا توجد هنا شقق للبيع.. ولكنه يظل بيتكما لتقضيان فيه كل الوقت الذي تريدانه، وأبدًا لن يطلب منكما أحد الرحيل.. أنتما تعرفان غرفكما أليس كذلك؟ بعد إذنكما أريد أن أنام قليلًا». وبالفعل قام متوجهًا نحو غرفته وتركهما يتبادلان بينهما النظرات الغاضبة.

(١٨)

في غرفتهما بالفندق كانتْ (خولة) ابنة (مشيرة) تتصفح ألبوم صور، بينما كانتْ أمها تجفف شعرها من ماء الاستحمام. كانتْ صور قديمة لـ (مشيرة) و(مجدي) و(عصام) وهم أطفال.. «إنّ جدتي كانتْ رائعة الجمال يا أمي.. وأنتِ نسخة منها» قالتْ (خولة).

اقتربتْ منها (مشيرة) والتقطتْ منها ألبوم الصور، وتطلعْت طويلًا إلى صورتها مع أمها وإخوتها فكأنّ بركانًا من الذكريات تفجّر في قلبها، ذكريات الطفولة الجميلة والمدللة لكونها الابنة الوحيدة، ذكريات الدفء العائلي الذي تنعمتْ به طوال حياتها، طيبة أمها ورقة وحنية أبيها، انسلتْ دمعة حارقة من عينها وانزلقتْ مسرعة على وجنتها.. قطع حبل أشجانها صوت ابنتها (خولة) وهي تسألها: «لماذا أنتِ وخالي مجدي مصرّان على بيع شقة العائلة يا أمي؟ إنّ خالي عصام قد صعب عليّ كثيرًا اليوم!».

أخذتْ (مشيرة) ألبوم الصور من بين يديها وأغلقته ثم وضعته جانبًا، وعادت لتجفف شعرها وتمشطه، وقالتْ لابنتها في برود: «شقة كبيرة بهذا الحجم في هذه المنطقة الراقية، ولا يسكنها إلا فرد واحد! وهي اليوم تساوي ملايين.. نستفيد منها أم نتركها هكذا؟ ونجلس بجوار ذكرياتنا القديمة ونبكي عليها؟».

– لكن يا أمي هذه شقة العائلة التي ترعرعتِ بها أنتِ وأخواك، وبها ذكريات عمركم الجميل.

– الذكريات وتلك الأشياء العاطفية لم تعد موجودة في هذا الزمن.. هذا زمن المال، المال فقط هو من يتحكم به ويحكم عليه.. الملابس والحلي والمدارس الدولية التي تتعلمين بها يطلبون المال وبالعملة الصعبة لا العواطف والذكريات القديمة.

– لكن يا أمي المال ليس كل شيء.. هناك أشياء في الحياة أهم من المال!

– لا أحب أن أسمع هذا الكلام الفارغ الذي يضحك به الأثرياء على عقول الفقراء الساذجين.. اسمعيني جيدًا، كل شيء في هذا العالم له ثمن، وكل ما له ثمن فهو يباع ويشترى.

– لكن يا أمي هناك أشياء لا تباع ولا تشترى بالمال.

– أشياء مثل ماذا؟

– مثل الصحة.. السعادة.. الصداقة.. الحب..

– والفقر إذًا هو ما يجلب الصحة والسعادة والحب والصداقة؟ إذا مرضتِ وأنتِ ثرية ستشترين الدواء وستتعالجين في أفضل وأفخم المستشفيات.. أمّا إذا كنتِ فقيرة ستزدادين مرضًا بلا دواء أو سيلقى بك في جحيم مستشفى حكومي فيقضى عليكِ.. أمّا السعادة فسوف أجدها عندما أسافر حول العالم وأشتري كل ما تتمناه نفسي، وأيضًا سأجد ألف حبيب طالما أنا ثرية أملك المال.. أمّا إذا كنتِ فقيرة سيهرب منك الجميع كأنّكِ مصابة بمرض مُعدٍ.

– لكن يا أمي خالي عصام...

– لا لكن ولا شيء.. أنا لا أريدكِ أن تكوني هكذا ساذجة! وصدقيني

خالك عصام عندما يرى النقود أمام عينيه سوف يبدل رأيه.. ووقتها حدثيني عن الماضي والذكريات والأشـ...

قطع حديثهما صوت طرقات على باب الغرفة. فتحتْ (خولة) الباب فصاحتْ (مشيرة): «ادخل يا مجدي». دلف (مجدي) إلى الغرفة. «أنا اتصلتُ بالحاج عمران، وقال أنّه سوف يأتي بعد قليل ومعه المال والعقد» قال (مجدي) وهو يجلس على طرف الفراش.

«أنا فقط خائفة يا مجدي ألا يوافق عصام على البيع ويرفض التوقيع على العقد، وهكذا ستتوقف الصفقة» قالتْ (مشيرة).

ردّ عليها (مجدي) في لا مبالاة: «لا يهم.. إذا أصرّ على موقفه فإن الحاج عمران قد أخبرني أنّه وقتها سوف يقوم بشراء نصيبك ونصيبي وسيتصرف هو مع عصام».

«تمام.. وأنا متأكدة من أنّ عصام عندما يرى النقود سوف يُبدل رأيه وسيوقع وقتها على العقد دون عناد» قالتْ (مشيرة).

همّ (مجدي) بقول شيء ما، ولكن قاطعه صوت رنين هاتفه المحمول، فقال وهو يقف: «إنّ الحاج عمران يتصل بي.. هل كان جالسًا تحت الفندق أم ماذا؟».

هتفتْ فيه (مشيرة) في حماس: «رد عليه سريعًا يا مجدي.. رد».

رد عليه (مجدي): «نعم يا حاج عمران.. أهلًا بك.. الله يسلمك.. ماذا؟ تنتظرنا بالأسفل.. يا أهلًا يا أهلًا..». ثم أغلق الهاتف، فقالتْ له (مشيرة)

وهي تخرج من حقيبة سفرها بعض الملابس: «انزل إليه سريعاً يا مجدي وانتظرنا في السيارة، سألحق بك أنا وخولة لنذهب إلى عصام.. هيا».

«لا يا أمي، أنا سأنتظركما هنا ولن أذهب معكما» قالتْ (خولة).

***

أمام باب شقة (عصام)، وعندما فتح لهما الأخير ولمح (عمران) معهما، غضب وتأفف وانسحب إلى غرفته، فضحك (مجدي) في حرج، وما أن دخلتْ (مشيرة) حتى أشار لـ (عمران) بالدخول؛ الذي دلف مسرعًا إلى داخل الشقة وهو يقول في سعادة: «يا ألف مليون حمدًا لله على السلامة يا أستاذ مجدي.. شرفتم شقتكم ها، شقتكم».

«الله يسلمك يا حاج عمران، صدقني لقد افتقدناك» قال (مجدي).

رفع (عمران) الحقيبة المحملة بالمال، ووضعها على الطاولة أمامه وقال: «الأربعة ملايين التي اتفقنا عليها ها.. والعقود جاهزة على التوقيع ها.. على التوقيع».

«يا أربعة مليون أهلًا وسهلًا يا حاج عمران!» قال (مجدي) وهو يجلس بجواره على الأريكة. وقالتْ (مشيرة): «يا أهلًا يا أهلًا يا حاج عمران».

«أهلًا بك يا ست الكل ها، أهلًا بكِ وحمدًا لله على السلامة. كيف أحوال الأستاذ سمير والأستاذة خولة والباشمهندس علي ها؟» قال (عمران).

«كلنا بخير والحمد لله» أجابتْ (مشيرة).

«تفضلي يا ست الناس ها.. تفضلي» قال (عمران) وهو يناول (مشيرة) العقد. فأخذتْ تتفحصه في سرعة. «تمام والمال؟» سألتْ (مشيرة).

قال (عمران) وهو يفتح الحقيبة ويديرها باتجاهها لترى النقود مرصوصة بداخلها: «أربعة مليون جنيهًا بالتمام والكمال كما اتفقنا ها».

لمعتْ عينان (مشيرة) لمنظر النقود، وقالتْ وهي لا تغيّب نظرها عمّا بداخل الحقيبة: «لكن أنت لم تنصفنا يا حاج عمران. أنا سألتُ بنفسي عن ثمن الشقة وعلمتُ أنّ ثمنها لا يقل عن خمسة ملايين».

قال (عمران) وهو يخلع النظارة عن عينيه: «ها طب إن شا الله أعدم أولادي ها، أولادي وصحتي ها هذا الكلام غير صحيح.. الشقة تقل عن أربعة ملايين ها، تقل صدقيني لكن من أجل عظم التربة ها، عظم التربة فقط أدفعهم، لماذا؟ ها، لأنّ والدك رحمة الله عليه كان صاحبي وحبيبي ها، حبيبي وكان ولا بد أن أعمل معكم الصح».

دخل (عصام) ببجامته الكستور، فقالتْ (مشيرة) وهي تشير بحماسة صوب الحقيبة: «انظر إلى هذا يا عصام إنّ نصيبك منهم مليون وستمائة ألف جنيه وحدك». ولكنّه لم ينظر إلى النقود ونظر إلى الحاج (عمران) وقال له في تحد: «نفذتَ ما كنتَ تفكر فيه يا حاج، وبحثتَ عن أخي وأختي اللذَين لا أعلم عنهما شيئًا، واتصلتَ بهما وجعلتهما يأتيان مهرولان، وتسيل لعابهما أمام نقودك.. لكن مع الأسف كل تعبك هذا لن يجدي شيء.. أي شيء».

رد عليه (عمران) بنفس درجة التحدي: «إن شاء الله تعبي سيجدي ها سيجدي، صح ها ولا إيه يا أستاذ مجدي؟».

«مُجدي إن شاء الله.. بالطبع يا حاج عمران مُجدي» هتف (مَجدي).

«لكن أنا لن أبيع!!» صاح (عصام).

رد عليه (عمران) في سخرية: «لا يهم ها لا يهم.. البركة في الأستاذ مجدي وأم علي ها.. هما سيوقعان على العقد وسيقبضان الثمن ها.. وسوف يتوكلان على الله ويسافران بالسلامة ها، هما سيسافران وأنا وأنت ها.. أنا وأنت سنبقى وعندئذ ها، عندئذ أنا سأتعامل معك باعتباري شريكك في الشقة صاحب نصيب الأسد ها.. الأسد. ولا تستبعد أن آتي بالأولاد ها، الأولاد وحريمهم وعيالهم ها، وعيالهم والحاجّة أم فتحي جماعتي ها جماعتي، ونعيش معك ها هنا كلنا في تلك الشقة البراح الحلوة دي ها».

أخذ (عصام) ينظر في غضب إلى (مشيرة) و(مجدي)، اللذان حرصا على الهروب بعينيهما من عينيه، قال (عصام) لهما متسائلًا: «هل يعجبكما هذا الكلام؟».

قال (مجدي) في لؤم: «أنت السبب في هذا يا عصام.. وقّع يا أخي على العقد وكل منّا يأخذ نصيبه ويذهب إلى حال سبيله». وعقبتْ (مشيرة): «حقنا يا أخي في ورث أبانا ونريده!».

قال (عمران): «حقهم يا أستاذ وشرع ربنا ها شرع ربنا، ولا إيه؟».

صاح فيهم (عصام): «حقكم؟ حقكم في ماذا؟».

رد (مجدي) في عصبية: «حقنا في شقة أبينا».

ضحك (عصام)، وقال ساخرًا: «ومن قال أنّها شقة أبيكم؟».

وقف الجميع مندهشون، هتفتْ (مشيرة) في تساؤل: «ما هذا الكلام الذي تقوله يا عصام؟ أتتعاطى مخدرات أم تسكر؟».

أخرج (عصام) ورقة مطوية من جيب بيجامته، ولوّح بها أمام الجميع، فسأله (مجدي): «ما هذه الورقة يا عصام؟».

جاوبه (عصام) وابتسامة شامتة ترتسم على وجهه: «هذه الورقة هي عقد بيع الشقة».

سألته (مشيرة) في حذر: «بيع ماذا وشقة من؟».

قال (عصام): «هذه الشقة.. رحمة الله عليك يا أبي.. كان يعلم أنّ مثل هذا اليوم سيأتي، ومن أجل هذا كتب الشقة باسمي».

صاح (مجدي) و(مشيرة) في صوت واحد: «ماذا؟».

هتف (عمران) غير مصدق: «ما هذا الكلام ها ما هذا الكلام؟!!».

قالتْ (مشيرة): «هذا العقد بلا شك مزور». وهتف (مجدي): «أبي رحمة الله عليه لا يمكن أن يفعل هذا».

جلس (عصام) ووضع رجلًا على رجل، وقال في ثقة وهدوء وهو يلوح بالعقد أمام ناظر الجميع: «العقد سليم مائة في المائة، ومكتوب كله بخط المرحوم، ورغم هذا فلستُ أنا الذي يغلق بيته في وجه أحدٍ من عائلته.. ومن لا يصدق أمامه المحاكم فليذهب ويشتكيني!».

صاحتْ فيه (مشيرة): «لا.. إنّ هذا الكلام لا يدخل عقلي. وإن ظهر أنّ

هذا العقد مزوّر فلسوف أسجنك يا عصام.. هل تسمعني سأسجنك.. وأنا كلي يقين أنّ هذا العقد مزور».

صاح (مجدي) أيضًا: «نعم سوف نسجنك يا عصام».

وحمل (عمران) حقيبته وعقده وخرج دون أن ينطق ها واحدة.

(١٩)

«لا أعرف كيف أشكرك يا مرجان!» قال (عصام) ممتنًا.

رد عليه (مرجان) في تواضع مصطنع: «لا تشغل بالك.. إنّه أمر بسيط».

– أمر بسيط؟ لولا هذا العقد الذي صنعته لي، لكانا باعا نصيبهم لعمران وورطوني معه، هذا السمين كخنزير!

– طالما أنا معك فلا تشغل بالك بأي شيء.

– حبيبي يا أبا المراجين.. لكنهم هددا بأنّهما سيذهبان لشكوتي إلى القضاء، وأنّهما سيسجناني عندما يثبتان أنّ هذا العقد مزور!

– ومن قال أنّ العقد مزوّر؟

– ماذا؟.. على رأي المثل لقد دفنّاه سويًا.

– من هذا الذي دفناه سويًا؟ العقد سليم مئة في المئة.. المشكلة الوحيدة أنّه لم يوثق في الشهر العقاري.

– سليم.. كيف ذلك؟

– والدك رحمة الله عليه كان هو من كتب ذلك العقد بذات نفسه، لو لاحظتَ ستجد أنّه كتبه من أوله إلى آخره بخط يده.

– نعم قد لاحظتَ ذلك، وهو بالفعل خط يد المرحوم، لكن قلتُ في نفسي أنّ هذا من صنائع الجن، فلم أشك في الأمر.. لكن كيف؟ ومتى كتب

أبي هذا العقد؟ أقصد لو كان كتبه بنفسه مثلما تقول فلماذا لم يخبرني أبدًا بأنه فعل؟

– هو كتبه ثم طلب منّي أن أحتفظ به معي.. (قال مرجان ثم أردف): وأوصاني أن أعطيه لك إذا فكر شقيقك وشقيقتك في بيع الشقة.. كان متأكدًا أنّ هذا اليوم سوف يأتي، وها هو قد أتى.

– لكن ما علاقتك بأبي حتى يأتمنك على هذا الأمر ويخفيه عني.. صراحة.. أنا لا أفهم أي شيء.

تنهد (مرجان) تنهيدة عميقة، وتراجع في مقعده مسترخيًا، وقال في هدوء: «أعتقد أنّه قد آن الآن لتعرف الحكاية من أولها إلى آخرها.. ما حدث وما يحدث».

***

قال (مرجان): «في عالمنا عالم الجن.. تقوم القبائل كقبيلتنا بخدمة الخواتم المباركة.. خواتم مسحورة تُرصد لخدمة من يحملها بعهود قديمة بين الإنس وملوك الجن القدماء.. وخدمة الخاتم هو أمر لا نختاره بل نقهر عليه مثل التجنيد الإجباري عندكم.. وعندما أتى دوري في تلك الخدمة، كان الخاتم آنذاك ولسوء طالعي في يد ساحر شرير كافر.. وكان معه خواتم أخرى وخدم آخرين. وكلنا كنا نتنافس في خدمته ولا نعصي له أمرًا.. كان يسخرنا هذا المسخ العجوز القبيح ظاهره وباطنه في أعمال السحر الأسود.. وكنا ننقب له عن الكنوز.. كان يتلذذ بفعل الشرور والفواحش كلها، كان يفرق بين المرء وزوجه.. يفرق بين الإخوة.. بين الأب وابنه.. حتى أبنائه لم يسلموا

من شره.. تخيل أن هذ المجرم كان يشتهي زوجة ابنه!».

صاح (عصام) مستنكرًا: «زوجة ابنه؟».

تابع (مرجان) في أسف: «نعم هذا ما حدث. لدرجة أنّه قد زرع الشك في قلب ابنه تجاه شقيقه.. ابنه الآخر، وأوهمه بأن زوجته على علاقة آثمة مع أخيه.. حتى أنّ الأخ ذهب ليطلق النار في صدر أخيه بلا تردد، ولولا أنهم أسعفوه لمات.. وكانتِ البنت حرة وشريفة فلم تقبل من الشيطان كل إغراءاته بالمال والذهب، وعندما عجز عن إخضاعها قرر أن يغتصبها بالقوة.. لم أحتمل يا عصام أن أرى ذلك المنظر القذر، ورغم أن هذا يخالف كل تقاليدنا والعهود المأخوذة علينا، وفي لحظة حمية كان فيها هذا الوحش يهجم على الفتاة ليغتصبها خطفته من فوقها، ووضعته أمام قطار مزق جسده، فكانت أكبر قطعة منه في حجم حبة ليمون.. بعد هذا التقطتُ الخاتم من بين أصابعه البشعة الممزقة، وأخفيته في مكان سري لا يعلمه أحد غيري».

غاص (مرجان)أكثر في مقعده، وظهرتْ على ملامحه معالم الأسى وهو يقول: «بالطبع كان هذا الأمر يعد جريمة كبرى في عالمنا، فعقدوا لي محاكمة، وتم الحكم عليّ بالطرد من القبيلة ومن كل عالم الجن، ثم أنسنوني..».

– نسنسوك؟

– نسنسوني؟ بني آدم غريب.. أنسنوني.. بمعني أنهم جعلوني إنسانًا مثل بني البشر.. بدون أيّة قدرات ونفوني إلى عالم الإنس.

«وماذا بعد؟ إنّها بالفعل حكاية مشوقة للغاية!» قال (عصام).

– فجأة وجدتني في عالم الإنس، أمشي في طريق مجهول، لا أعرف أين أنا ولا إلى أين أذهب ولا كيف أعود.. تائه.. مشوش.. لا أرى أمامي.. وبينما كنتُ أسير هكذا مترنحًا إذ بسيارة مسرعة تصدمني فأسقط فاقدًا للوعي.. بعد فترة صحوتُ وجدتني فاقدًا للذاكرة.. لا أعرف حتى اسمي ولا أتذكر أي شيء عن حياتي».

«من الذي صدمك بالسيارة يا مرجان؟» سأل (عصام).

– خواجة أيرلندي اسمه «هاوارد» كان يعمل في الخارجية الإنجليزية.. كان في طريقه للعزبة الخاصة به في القليوبية.. عندما صدمني بسيارته أخذني معه إلى قصره وداواني.. وعندما وجدني فاقدًا لذاكرتي قرر أن يستبقيني عنده، وضمني إلى العاملين بمطبخه.. كان كبير الطهاة بالمطبخ طاهي هندي قد تعرف عليه هذا الدبلوماسي في إحدى أرقى المطاعم بالهند.. عرض عليه راتب كبير جدًا كي يترك المطعم ويعمل عنده كطاهي خاص فوافق.. وعندما ترك الدبلوماسي عمله بالهند وتم نقله إلى مصر أحضره معه هو وعائلته.

كان اسم الطاهي «كوندان لال جوجرال»، هندوسي من البنجاب، كان رجلًا صعبًا وحازمًا لكن طيب القلب إلى أقصى الحدود.. كان يعرف القليل من العربية.. وهو من علمني الطهي.. كان عمي كوندان يعاملني مثل ابنه وأكثر.. وأنا أيضًا كنت أحبه مثل أبي الذي كنتُ لا أتذكره وقتها.. حتى أنه سمّاني مارد كوندان ونسبني إلى نفسه من كثرة محبته لي.

لمعتْ عينان (مرجان) وتنهد تنهيدة حارقة وهو يقول: «أما ابنته (صبا).. (صبا) فقد كانتْ هي حب عمري.. (صبا) بالهندية تعني صباح بالعربية..

من كل قلبي أحببت هذا الصباح وهي أيضا أحبتني، كنّا عاشقين.. كريشنا ورادها... رام وسيتا.. كانتْ جميلة كالبدر.. سمراء مثل القهوة البرازيلية، وفمها مثل حبة كريز تركي، وخديها مثل الخوخ الصيني، وأنفها كحبة نبق الجزيرة..».

صاح فيه (عصام): «ما كمية الفواكه تلك التي هبطتْ علينا من السماء على حين فجأة؟».

أطلق (مرجان) تنهيدة عميقة وقال: «بالفعل يا عصومي.. لقد كانتْ صبا مثل شجرة فاكهة تطرح كل الثمار.. انتظر.. سأريك صورة لها».

أخرج (مرجان) من جيب سرواله السري صورة قديمة بالأبيض والأسود.. طبع عليها قبلتين حارتين، ثم أعطاها لـ (عصام) الذي فزع عندما رأى فتاة أحلام (مرجان). مراهقة سمينة قصيرة سوداء كقطعة فحم كامدة، ترتدي الملابس الهندية التقليدية.. أنفها كحبة البطاطس، ولها شارب خفيف فوق فمها الكبير وشفتيها الرفيعتين.

سأله (مرجان) في اهتمام: «قمر.. أليس كذلك؟».

اضطرب (عصام) واهتزتِ الصورة في يده وهو يعيدها إلى (مرجان)، قائلًا: «قمر؟ قمر من أي اتجاه؟».

نظر إليه (مرجان) نظرته المرعبة، فتلعثم (عصام) وهو يقول: «قمر واحد، إنها قمرين ثلاثة بل أقمار.. إنّها مجموعة شمسية بأقمارها ونجومها!».

ارتسمتْ على وجه (مرجان) ابتسامة عريضة بلهاء، ثم خفّتْ واختفتِ

الابتسامة وارتسمتْ على صفحة وجهه الأسمر النحيف ملامح بائسة، وهو يتابع قائلًا في أسى: «عندما صارحتْ والدها بحبي لابنته، وطلبتُ منه أن يزوجني إياها، غضب أشد الغضب. وأخبرني أنّها منذ ولادتها كانت موعودة لابن عمها.. وأنّ وعود الزواج عندهم مقدسة لا يقدر أن يخالفها.. وفجأة ترك (كوندان) العمل وأخذ عائلته وسافر بهم إلى الهند دون إنذار.. خمسة أعوام من الحب ذهبت مع الريح وانكسر قلبي».

اقترب منه (عصام) وربتَ على كتفه في مواساة، فأردف (مرجان): «من بعد رحيله أصبحتُ أنا كبير الطهاة.. وكان (مستر هاورد) يحبني ويقربني منه.. كان يعطيني الكثير من المال ومن الهدايا.. وهو الأمر الذي أكسبني حقد باقي الطهاة والخدم الأقدم مني.. فتآمروا عليّ. وفي يوم قاموا بإفساد الطبق الرئيسي الذي كنت مسؤولًا عن تحضيره بدس أعشابًا فيه تسبب الإسهال الشديد.. لدرجة أنّ (مستر هاورد) ظن أنني قد وضعتُ له سمًّا في الطعام.. فطلب الشرطة واتهمني بمحاولة قتله، فركضتُ هاربًا.. كنتُ هائمًا على وجهي لا أعلم إلى أين أذهب.. أخذت أركض وأركض لساعات وساعات، ثم حملني أحدهم مع عمال آخرين في سيارة نقل إلى أن وصلتُ لا أعلم كيف إلى منطقة باب الشعرية في القاهرة.. هناك عطف عليّ رجل عجوز طيب، وأشفق عليّ عندما وجدني نائمًا في المسجد، وعلامات الخوف والقلق محفورة على وجهي.. حكيتُ له حكايتي كلها، لا أعلم كيف شعرتُ نحوه بالراحة والاطمئنان. استمع لكل كلامي باهتمام، ثم هدأني وأخذني معه إلى بيته، وأعطاني غرفة فوق سطح بنايته، ووظفني عنده في متجر العطارة الخاص به.. وكان لي نعم الأب الحنون.. كان للعطار العجوز ابن وحيد

تقريبًا في نفس عمري.. تقاربنا على الفور كأننا أصدقاء طوال حياتنا، ونمت بيننا صداقة كبيرة، وصرنا أكثر من شقيقين.. وعندما مات والده لم يقصر معي، لدرجة أنّه جعلني شريكًا له في متجره. وأعطاني مالًا كثيرًا سافرتُ به إلى الهند واشتريتُ به بضاعة لمتجرنا. وفي وقت قليل كبر المتجر ونمتْ تجارتنا، وأصبح لنا متجرين وثلاثة وخمسة.. وصرنا من الأثرياء وانضممنا إلى علية القوم».

«ولم تبحث طوال هذا الوقت عن حبيبة قلبك؟» سأله (عصام) وهي يتذكر عينَين (نجلاء) الزيتونتين.

«بالطبع فعلتُ، ووصلتُ إليها، ولكن وجدتها متزوجة ومعها أربعة أطفال..» ثم أطلق (مرجان) زفرة حارة ملتهبة، وتابع: «المهم.. كان أهلي من الجن طوال تلك المدة يبحثون عني في كل مكان.. أردوا إعلامي أنهم استطاعوا أن يقنعوا مجلس القبيلة بمسامحتي والعفو عني ووافقوا على أن يجِنّوني مرة أخرى...».

قاطعه (عصام) وهو يحرك يده بالقرب من رأسه: «يجَننوك؟ لهذا السبب أنت مجنون؟».

- مجنون؟ يجَننوني! يجنّوني بمعنى يعيدونني جنيًا مرة أخرى.. المهم أنّهم وجدوني، وداووني وأعادوا إليّ ذاكرتي.. وكان أول ما فعلته آنذاك أنّي أحضرتُ الخاتم من المكان الذي سبق وأن أخفيته به.. وذهبتُ إلى صاحبي ابن العطار وشريكي وأخي الوحيد.. وأخبرته بكل قصتي.. بالطبع لم يصدق أي كلمة قلتها له في البداية، لكنني في النهاية استطعتُ أن أقنعه.

- نعم مثلما أقنعتني.

- نعم مثلما أقنعتك.. ثم أعطيتُ له الخاتم.. ولكنه رفض أبدًا أن يستعمله، قال إنني بالنسبة له أكثر من أخ وليس مجرد خادم لخاتم..

توقف (مرجان) قليلًا ومسح دمعة كادتْ أن تسيل من عينه، ثم تابع: «وضع الخاتم في خزانة خاصة كذكرى وهدية من أخ وصديق.. حتى في أصعب حالاته وعندما تعثرتْ أحواله وخسر كل أمواله في صفقة كبيرة، لم يلجأ إلى الخاتم، ورضى قانعًا بما آلتْ إليه أموره.. كنتُ أزوره بين الحين والآخر، ودائمًا كنتُ أضع عيني عليه وأرقب أحواله من بعيد.. وكنتُ هناك بجواره يوم أن مات.. كنتُ لا أستطيع أن أمسك عيناي عن البكاء.. وكانتْ وصيته الأخيرة لي أن أرعى ابنه الوحيد.. ووعدته بأنّه سيكون أمانة في رقبتي إلى آخر أيام حياتي.. هل تعلم يا عصام من كان ابن صديقي وأخي الإنسي هذا؟

- من؟

- أبوك رشدي رحمة الله عليه.

***

«إنّها حكاية ولا حكايات ألف ليلة وليلة يا مرجان.. في النهاية ظهر أنّك صديق لجد أبي ثم جدي ثم أبي من بعدهما..» قال (عصام) بشغف وبعقل لا يكاد يصدق ما يسمعه.

- أعتقد أنّك قد علمتَ الآن يا عصام من أنت بالنسبة لي.. ومن أجل

هذا لن أتركك حتى أطمئن عليك وأتأكد من أنّك لم تعد تحتاجني أو تحتاج لغيري.

– والآن ماذا سنفعل مع أخي وأختي والحاج عمران؟

– لا تشغل بالك.. أريدك فقط أن تعلم أنهما لا يحتاجان إلى بيع الشقة، وأنّ ظروفهما المادية جيدة جدًا، لكنهما يعملان بالمَثل الذي يقول: البحر يحب الزيادة.. وصدقني ولأنّ نيتهما لم تكن خالصة، فإنّهما سيورطان نفسيهما بنفسيهما، وهما من سيعطوننا بأيديهما الحل لتلك المشكلة.

– أنت تعلم شيء وتخفيه عنّي يا مرجان؟

– الصبر.. الصبر يا عصومي وستعرف كل شيء.. المهم الآن.. أنا جائع، ماذا سنتعشى؟

(٢٠)

في غرفتها بالفندق، جلستْ (مشيرة) تصفف شعرها أمام المرآة. بينما كانتْ ابنتها (خولة) تراسل صديقة لها عبر الهاتف الذكي. كانتْ عينان (مشيرة) تتطلع في مرآة المزينة أمامها، ولكن عقلها لم يكن في رأسها؛ بل كان هناك غائبًا بعيدًا.. تعالتْ دقات قلبها الذي كان يدوي بدقات قوية عالية؛ حيث أنّها تذكرتْ كم أحبتْ (حسام)، وكم تمنتْ أن يكون هو الرجل الذي ستقضي معه كل حياتها.. كان حبها الأول والأخير.. تعرفتْ عليه في أيامها الأولى بالجامعة، ونشأتْ بينهما ولمدة أربع سنوات قصة من العشق المشتعل الذي لا ينطفئ.. اتفقا أنّهما لن يقبلا بأي مساعدة من أهلهما، وأنّهما سيبنيان عشهما الصغير معًا، وسيفرشانه بالحب والود، وسينجبان ولدًا وبنت، حتى أنّهما اختارا اسميهما، كما اختارا ألوان ستائر غرفة النوم. وبصراحة تامة حكتْ (مشيرة) لوالدها (رشدي) عن (حسام)، كانتْ لا تخفي شيئًا عن أبيها أبدًا، وبارك الأخير علاقتهما، حتى أنّه طلب منها أن يقابله ليتعرف عليه، وبالفعل قابله وتحدث معه كثيرًا، وصارحه الفتى بقلة إمكانياته وبفقر أهله.. وتفهم الأب ظروفه، ودعمه وشجعه، وغمرتهما سعادة لا توصف. كان (حسام) حبها الأول ومنبع سعادتها الذي لا ينضب، وتخرجا معًا في الجامعة، وحينها تلقتْ صدمة حياتها والطعنة النافذة في قلبها البريء الذي لم يعرف إلا الحب والوفاء.

تركها ليرتبط بابنة أحد أساتذته في الكلية ليضمن تعيينه معيدًا في أحد

أقسامها.. ولم تعرف هي هذا الخبر منه بل عرفته من إحدى زميلاتها بالصدفة. الكل حاول إخفاء هذا الخبر عنها لمعرفتهم كم كانتْ تحبه وكم هي متعلقة به.. عندها سقط مفهوم الحب أمام عينيها كتمثال من بلور تناثرتْ أجزاؤه كهباء منثور في كل مكان، وتعلمتِ الدرس واستوعبته وأيقنتْ أنّه لا يوجد في هذه الدنيا شيئًا يدعى حب، أو كان موجودًا وانقرض كالديناصور، وأنّ الشيء المهم والأهم هو المصلحة والمادة، لذا ظلّتْ ترفض أي عريس يتقدم إليها، كانتْ توزنهم بميزان المادة، والمادة فقط، حتى تقدم إليها (سمير)، شاب من عائلة ثرية قضتْ كل عمرها بين أحضان الكفيل الخليجي. وقبلتْ به على شرط ألّا تبقى في مصر وأن يأخذها معه إلى الخليج، وبالطبع وافق (سمير) لأنّه بالفعل يريد زوجة تصحبه إلى الخليج؛ حيث وفّر له والده هناك عقد عمل لا يمكن أن يرفضه بحال.

كانتْ (مشيرة) غارقة في ذكرياتها كحجر ألقي في بحر، لم يخرجها من ذلك الشجون إلا أنّ أحدهم دق على الباب دقات قوية. فأذنتْ له بالدخول.. دلف (مجدي) إلى الغرفة في خطوات مرتبكة إلى حيث تجلس (مشيرة)، وبعد أن أشار تحية لـ (خولة) وبادلته التحية، جلس في مقعد بجوارها وهمس في أذنها: «كل شيء تمام، والحاج عمران قد أعدّ كل شيء حسب الاتفاق».

أشارتْ إليه أن يحذر من وجود (خولة) بالغرفة؛ فهي لا تريدها أن تعرف الخطة اللئيمة التي تم الاتفاق عليها بينهما. قالتْ لـ (مجدي) هامسةً هي الأخرى: «هل أكدتَ عليه أن لا أحد يؤذي عصام.. وأنّه لو أذاه أحد فإنّ الاتفاق لاغٍ وكأنّه لم يكن».

قال لها بصوت خافت: «نعم لقد قلتُ هذا وأكدتُ عليه كل التأكيد، وهو أيضًا وعدني بأنّه أعطى أمره للرجال الذين سيذهبون ليلًا لسرقة العقد من عصام، بألّا يلمسونه حتى بأصبع.. والعقد غير مسجل، بمعنى أننا لو أخذناه وقطعناه، فإنّ الحاج سيعطينا نصيبنا على الفور؛ نأخذه ويرحل كلانا إلى بلده، وهو سيتعامل بعد ذلك مع عصام بطريقته، ولقد جعلته يقسم لي أن لا يؤذي عصام فأقسم».

هزتْ (مشيرة) رأسها موافقةً، ثم قالتْ لـ (مجدي) وبصوت مرتفع: «حسنًا اذهب الآن إلى غرفتك يا مجدي وسآتي إليك بعد قليل لنرى ماذا سيحدث». وعادتْ إلى تصفيف شعرها مرة أخرى، وهي ترقب (خولة) التي كان يبدو عليها الاستغراق التام فيما تفعله ولا تشعر بما يدور حولها.

(٢١)

عندما دقتِ الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كان ثلاثة رجال مفتولي العضلات ملثمين يتحركون في سرعة وخفة فوق درجات السلم.. لم يكن شيء يعيق تقدمهم، فالبناية كلها لا يسكنها إلّا إنسان واحد، هو (عصام رشدي) الذين توقفوا عند باب شقتة.

كان اثنان منهما يحملان مطاوي قرن الغزال في أيديهما، أمّا الثالث فكان يحمل في يسراه مسدس وفي الأخرى سلسلة معلق بها العديد من المفاتيح. دس أحدها في باب الشقة وحاول فتحه فلم يفلح، فجرب آخر وآخر حتى تمكن أخيرًا من فتح الباب.. وعلى أطراف أصابعهم دلف ثلاثتهم إلى الداخل وأغلقوا الباب من خلفهم بهدوء.

كان عليهم حسب تعليمات الحاج (عمران) أن يحصلوا على عقد الشقة بأيّ ثمن. أخبرهم أنّ (عصام) يسكن وحده في الشقة، وأمرهم بأن يبحثوا في صمت وحيطة عن العقد في كل مكان، وإذا لم يتمكنوا من إيجاده فعليهم أن يمسكوا بـ (عصام) ويجبرونه على تسليمهم العقد، ولا مانع من ضربه وإخافته لكن مع ضرورة المحافظة على حياته، أخبرهم أنّه وعد شقيقه وشقيقته بذلك.

أشار الرجل الذي يحمل المسدس لمن يحملا المطاوي أن يتفرقا وأن يبحثا في داخل كل الغرف عن العقد.

عندما تدخل شقة (عصام) تجد أمامك مباشرة صالة كبيرة ممتدة، وفي نهايتها غرفة الجلوس حيث كراسي الصالة الخضراء الوثيرة والأريكة المفضلة لـ (عصام)، تحيط بمائدة خشبية سطحها من زجاج، وأمام الأريكة عند الحائط طاولة كبيرة موضوعا عليها شاشة التلفاز.. ويمينًا تجد غرفة السفرة وبابين، اليمين حمام الضيوف واليسار غرفة الضيوف، ومن الأخيرة تخرج إلى شرفة كبيرة تطل على الشارع الرئيسي.. وفي منتصف غرفة الجلوس يسارًا ممرًا يؤدي إلى خمس غرف أربعة منها متقابلين والخامسة في نهاية الممر.. أول باب يمين غرفة المكتب وأمامه غرفة المطبخ.. وثاني غرفة يمينًا غرفة النوم الكبيرة التي كانتْ تخص والد (عصام) وأمه، وأمامها غرفة الحمام الرئيسي. أمّا الغرفة في نهاية الممر فهي غرفة (عصام) التي تطل شرفتها على الشارع الخلفي.. كان (عصام) وقتها غاطًا في نوم عميق لا يشعر بأي شيء يدور في العالم من حوله.

ذهب اثنان منهما يسارًا والثالث دخل يمينًا، فكان أول باب فتحه الأخير هو حمام الضيوف، ألقى بنظرة سريعة داخله ثم أغلقه بهدوء كما فتحه.. توجه بعد ذلك إلى الغرفة المقابلة وفتحها، دخل وأغلق الباب من خلفه بهدوء.. بحث في كل الأدراج التي في الغرفة وأثناء بحثه في أدراج «التَّسريحة» بصر انعكاس صورته في مرآتها.. شعر بأنّ شيئًا ما يتحرك تحت جلد رأسه، فاقترب أكثر من المرآة ليرى ما هو.. وضع المطوة على المزينة، وأخذ يتحسس بأصابعه المرتعشة الشيء الذي يتحرك تحت جلده، حتى نزل ذلك الشيء من رأسه إلى جلد جبينه وهو يطارده بأصابعه حتى نزل إلى جفن عينه اليسرى، وفجأة برز من تحت جفنه شيء كأنّه قرون استشعار لحشرة

ما، وبتردد وخوف أمسك بأطراف أصابعه تلك القرون، وسحب بلطف فخرجتْ من تحت جفنه حشرة خنفساء سوداء في حجم نصف حبة عنب.. أخذ اللص ينظر إليها في رعب وخوف ويهزها وهي جامدة لا تتحرك كأنّها ميتة، قربها من عينه السليمة ليراها بوضوح أكبر، فاهتزتْ بين أصابعه بقوة، فصاح في خوف ورماها من يده، فطارتْ حول رأسه دورتين، وهو يحرك يداه في الهواء يحاول أن يدفعها بعيدًا عنه، وسقط فكه في بلاهة عندما شاهد تلك الحشرة العجيبة تصطدم في مرآة المزينة، ولكنها لم تسقط مرتدة كما توقع، بل غاصتْ في المرآة واختفتْ بداخلها..

اقترب اللص من المكان الذي غابتْ فيه الحشرة داخل المرآة، ووضع سبابته على نفس المكان، وذعر عندما وجد أصبعه ينفذ هو أيضًا داخل المرآة فسحبه سريعًا، ولفضوله أعاد أصبعه مرة أخرى إلى نفس المكان، فغاص فيه إلى الداخل أكثر، ثم أطلق صيحة فزع عندما شعر بشيء ما يمسك بأصبعه ويسحبه إلى الداخل حتى غاص كفه كاملًا داخل المرآة، وبكل قوته سحب كفه فخرجتْ يده مع كفين يطبقان عليه، وفجأة أخرج له (مرجان) رأسه من داخل المرآة وهزّ له رأسه بطريقة الهنود وقال: «نامستيه.. كيسا هيه». فأطلق اللص صرخة كأنّه فتاة مراهقة شاهدتْ صرصور يطير إلى وجهها، أو فأرًا اندس تحت ثوبها.. وحاول اللص بكل قوته أن يدفع بجسمه إلى الخلف، ولكن (مرجان) أطبق بقبضتيه على رقبته وقال ساخرًا: «أتصرخين يا سميحة؟ إنك لم ترَ شيئًا بعد!». ثم جذبه إلى داخل المرآة بمنتهى السهولة كأنّه لا يزن شيء، فاختفى اللص داخل المرآة كأنّه لم يكن موجودًا بالغرفة منذ قليل.

أمّا صاحبيه الآخرَين اللذَين دلفا يسارًا ثم تفرقا. دخل من يحمل المسدس إلى غرفة المكتب والآخر الذي يحمل المطوى دلف إلى المطبخ. كان الأخير بالطبع يعلم أنّ العقد لن يكون في المطبخ، لكنه كان يشعر بجوع شديد فقال في نفسه: «أبحث عن شيء آكله». فتح الثلاجة فسال رواله عندما وجد تلك الدجاجة المحمرة الراقدة في الطبق، مد يده ليأخذها، فإذا بها تنقلب فجأة إلى دجاجة حية تقرقر، ففزع وتركها ومن خوفه تراجع للوراء فانزلق على الأرض وسقط على ظهره، فقفزتِ الدجاجة فوق جسده، وسارتْ حتى وصلتْ إلى وجهه وأخذتْ تضربه بمنقارها على جبينه، فصرخ ينادى على زميليه، فأسرع إليه صاحب المسدس، وضرب الدجاجة بظهر يده، فطارتْ بعيدًا إلى النافذة وقفزتْ منها إلى الخارج وهي تصيح.

ساعد صاحب المسدس زميله على القيام وهو يوبخه في خفوت: «أخفض صوتك يا بني آدم سوف تفضحنا.. خائف من دجاجة يا بغل؟».

تلعثم صاحب المطوى وهو ينظر بذهول إلى حيث قفزتِ الدجاجة، وقال في خوف شديد: «لن تصدقني إذا قلتُ لك أنّ تلك الفرخة كانتْ في الثلاجة محمَّرة في طبق، وعندما أمسكتُ بها صارتْ حية وهاجمتني ونقرتني في وجهي».

ضربه زميله على رأسه بكف يده ضربة قوية، وصرخ فيه بصوت مكتوم: «أجننتَ؟ أتعي ما تقول؟ دجاجة محمرة أصبحتْ حية وهاجمتك؟ لقد محى البرشام عقلك أيها المتشرد القذر!».

أخذ يرتجف من الخوف، وقال بصوت مخنوق كالبكاء: «والله يا ريس أنا

لا أكذب عليك.. أنا أحكي لك ما حدث..».

صاح فيه: «اخرس». فسكتَ. ثم أمره أن يتبعه إلى غرفة المكتب وألا يُحدث أي صوت.

خرج الرجل حامل المسدس وتوجه إلى المكتب. وبقى الآخر في المطبخ يهندم من نفسه ويلتقط أنفاسه، ثم انخفض ليُحكم رباط حذائه.. وما إن وقف حتى وجد شخص آخر يقف أمامه.. تلفتْ يمينًا ويسارًا ثم أمعن النظر في الواقف أمامه، وتدلى فكه واتسعتْ عيناه في اندهاش؛ إذ كان الواقف أمامه يحمل نفس ملامحه وحجمه ويرتدي نفس ثيابه، كأنه ينظر إلى انعكاس صورته في مرآة. فحك رأسه بأصابعه ففعل شبيهه مثلما فعل.. لوّح بيده اليمنى في الهواء يمينًا ويسارًا.. ففعل الشبيه مثلما فعل، وكرر كل حركة قام بها. ثم مدّ اللص يده إلى وجه شبيهه.. ولكن الشبيه رفع كف يده في الهواء وأشار له بالسبابة بالنفي.. أي لا تفعل.

فزِع اللص وحاول أن يتحرك من مكانه ليهرب. ولكنه تفاجأ بأنّ قدميه قد التصقتا بالأرض، ففتح فمه كي يصرخ مستنجدًا بزميله، ففرقع الشبيه بأصبعيه فاختفى فم اللص من صفحة وجهه كأنه قد خُلق بلا فتحة فم.. ثم فرقع الشبيه مرة أخرى بأصبعيه، فبدأ جسد اللص يغوص في الأرضية كأنّها تحولتْ إلى رمال متحركة.. أخذ اللص يحرك جسده في قوة ويبحث بيديه عمّا يتعلق به فلا يجد حتى غاص جسده في أرضية المطبخ واختفى تمامًا. عند ذلك دخل اللص المتبقي ليجد الشبيه واقفًا في مكانه، فصرخ فيه: «أما زلتَ واقفًا في مكانك يا بغل؟ هيا تعال معي». فذهب الشبيه يتبعه إلى المكتب،

وعيناه تلمعان ببريق مخيف، وارتسمتِ ابتسامة خبيثة على شفتيه.

(٢٢)

لليوم الثالث لم يأتِ للعمل؟ هو لم يفعل ذلك أبدًا من قبل! لا بُد أنّ مكروهًا قد أصابه.. يا ترى هل هو بخير أم..؟ هذا ما كانتْ تفكر فيه (نجلاء) بقلب مضطرب، كانتْ شديدة القلق على (عصام).. سألتْ نفسها: «لمَ أنتِ قلقة عليه إلى هذا الحد؟»، وأجابتها بأنّه زميلها في العمل منذ سنوات عديدة، ولم ترَ منه إلا كل خير والتزام وأدب. هو يستحق ذلك القلق لغيابه ثلاثة أيام متصلة لأول مرة منذ زمن بعيد.. ولكن في قرارة نفسها كانتْ تعلم أنّها كاذبة. تعلم أنّ هناك عاطفة جميلة تدخرها له في حشايا قلبها. تعلم هذا عندما تتطلع في عينيه الشبيهتين بفنجانين أبيضين من القهوة، فيتلوّن وجهه بحمرة الخجل، وتزوغ عينيه من حصار عينيها. فيختلج قلبها ويضيق صدرها بالهواء، وتواجه صعوبة كبيرة في منع نفسها من محاولة تقبيله على خده النحيل، والتربيت على رأسه ومسح شعره القصير الناعم بكفها.. أحيانًا بالفعل تشعر أنّه طفلها وأنّها أمه، وتلمح دمعة متكوّرة في طرف عينيه تود أن تنساح على وجهه، وتشعر به يريد الكلام والبوح، ولكن لسانه يتحول إلى قطعة من خشب؛ فيغمغم ويهمهم بكلام غير مفهوم.. تشعر أنّه يود احتضانها وتقبيلها، وتتمنى أن يفعل! ولكنّه دائمًا ما ينسحب ويتقهقر من الحياء.

وبينما كانتْ تدوي بداخلها عواصف هوجاء وبحار مضطربة متدافعة الأمواج، وينتشر الضباب كثيفًا في عقلها وأمام عينيها، أمسكتْ بالجوال

وطلبتْ رقمه الذي حصلتْ عليه صباحًا من زميلتها في شؤون العاملين؛ قالتْ لها أنّ الأستاذ (عصام) لديه مستندات مهمة يطلبها المدير، وتريد التواصل معه من أجلها. نعم كذبت عليها، فهي تكاد تموتُ قلقًا وتريد فقط أن تطمئن عليه.. هوى قلبها في قدميها وانقبضتْ معدتها من التوتر عندما سمعتْ صوته الجميل على الطرف الآخر.. كادتْ أن تغلق الهاتف من الخجل، صمتتْ قليلًا، ثم خافتْ أن يغلق هو الخط، فاستجمعتْ شجاعتها وتكلمتْ..

– أستاذ عصام معايا؟ (كأنّها لم تتعرف إلى صوته!).

– نعم أنا عصام.. من معي؟

– نجلاء.. أنا نجلاء زميلتك في العمل. (تبع ذلك صمتٌ طويل حتى ظنتْ أنّ الخط قد انقطع، فتابعتْ): ألو.. أستاذ عصام هل ما زلتَ معي؟

– نـ نعم أنا معك.. أنا فقط لا أصدق.. أشعر أنّ أذناي تخدعاني.. أنتِ بالفعل نجلاء؟

– نعم أنا نجلاء.. حضرتك لم تأتِ للعمل منذ ثلاثة أيام فشعرتُ بالقلق وأردتُ الاطمئنان عليك.

– أنتِ.. أنتِ شعرت بالقلق عليّ أنا؟

– لستُ أنا فقط من قلق عليك حقيقة.. بل كل الزملاء كلهم شعروا بالقلق عليك.. (قالتْ هذا، ثم شعرتْ بخجلٍ كبير يجتاحها.. فتابعتْ): هل أنتَ بخير؟

– نعم أنا الآن في خير حال.. في خير حال.. لم أكن كذلك ولكن عندما سمعت صوتك أصبحت.. فقط كنت أشعر بإرهاق كبير فقلتْ آخذ يومين أجازة.. كم أشعر بالامتنان والسعادة لهذا الاتصال يا نجلاء! كم أنتِ إنسانة طيبة وجميلة! أنا آسف إن شعرتِ أنني أغازلك.

– لا لا تأسف على شيء فنحن زميلان في العمل.

– فقط زميلان في العمل؟

– لا أنت أكثر من هذا بالنسبة لي.. أنت كأخي..

– أخوك؟

– نعم .. ألا تشعر بأنّني أختك؟

– صراحة.. أشعر أنك أكثر من ذلك.

– أكثر مثل ماذا؟

– مـ مـ مثل .. مثل .. لا أعلم.

– لا تعلم.. حسنًا عندما تعلم أخبرني.. فقط أردتُ الاطمئنان عليك وقد فعلت.. أتمنى أن أراك دائمًا بخير.. سلام..

– نـ نجلاء لا تغلقي الخط أرجوك.. أريد أن..

– نعم ماذا تريد؟

– أريد.. أريد أن أطلب منكِ طلبًا ولكن لا أعلم إذا ما كنتِ ستوافقين..

– نعم، أنا تحت أمرك اطلب ما تشاء ولا تخجل.

– هل.. هل.. إذا كان يمكن.. أما إذا كان لا يمكن فلا بأس أنا أتفهم ذلك...

– ما الذي يمكن والذي لا يمكن؟.. لا أفهم شيء.

– إذا كان يمكن أن أدعوك إلى الغداء معًا في مكان ما بعد انتهاء الدوام..

– نعم يمكن.. يسعدني ذلك..

– حسنًا حسنًا لا بأس.. ماذا؟ هل قبلتِ؟ حقا هل قبلتِ؟

– نعم أوافق، لا مشكلة أبدًا.

– أنا لا أصدق نفسي.. حسنًا سأنتظرك في الخامسة عند الميدان القريب من العمل..

– سلام.

– سلام.

(٢٣)

ما إن أغلق الهاتف حتى ألقى بجسده فوق فراشه مغمض العينين، يريد الإطباق على تردد صدى صوتها في عقله وقلبه.. حتى ظهر (مرجان) من العدم مستلقيًا بجواره فوق الفراش يتطلع إليه في فرح.

انتفض (عصام) فزعًا من وجوده.. ثم استرخى بجواره وسأله في اهتمام: «هو الحب بالهندي يعني إيه يا مرجان؟».

اعتدل (مرجان) على جنبه، واقترب برأسه من رأس (عصام)، وبضحكة عريضة ارتسمتْ على شفتيه الرقيقتين قال: «بِيار».

أعاد (عصام) سؤاله وهو يطلق تنهيدة حارة: «وكيف نقول: أنا أحبك».

بادله (مرجان) التنهيدة وقال: «مي تومسي بيار كارتيهون..».

أخذ (عصام) يردد كآلة سعيدة: «مي تومسي بيار كارتيهون، مي تومسي بيار كارتيهون نجلاء».

هتف (مرجان) كطفل: «نجلاء.. كنتُ أعلم أنّ هناك في حياتك نجلاء.. الآن ستحكي لي عن نجلاء ولن تتوقف عن الكلام حتى أعلم كل شيء.. هيا تكلم وأخبرني هيا».

اعتدل (عصام) جالسًا فوق الفراش، وسأل (مرجان) في مكر: «ماذا تريد أن تعلم يا مرجان؟ وماذا تريد أن أحكي؟ نجلاء هذه زميلتي في العمل..

تعمل سكرتيرة صاحب الشركة منذ ثلاث سنوات.. هي تصغرني بخمس سنوات.. نجلاء ببياضها واستدارة وجهها تشبه القمر، وبعينيها الزيتونتين، ومرحها الذي لا ينضب، سلبتْ قلبي وعقلي يا مرجان.. عندما تغيب عني أحضِّر قصائد الشعر التي سأتلوها كعابد مجنون في محراب عينيها، ولكن عندما تكون أمامي يصيبني الخجل بالشلل والعته، فأبدو أمامها كمجذوب أو أبله أو كطفل لم يتعلم الكلام بعد.. تخيل يا مرجان أنّها أكثر مني شجاعة! أنا الذي حاولتُ مرّات كثيرة أن أتحدث إليها في الهاتف وأبث إليها كل حبي وأشواقي، ولكن الخجل منعني.. هي من تحدثت معي منذ قليل لتطمئن عليّ.. ولكن أنا أيضًا أصابتني عدوة شجاعتها وطلبتُ منها أن تخرج معي للغداء بعد ساعات قليلة. لا بُد أن تساعدني يا مرجان.. فأنا لا أعلم ماذا سأرتدي، ولا إلى أين سأذهب بها للغداء؟ وماذا سأقول لها؟ ماذا فعلتُ؟ لا بُد أن أتصل بها وأعتذر عن هذا الطلب المجنون!

– اهدأ يا عصومي.. في البداية دعنا نأتي لك ببدلة من أحدث وأغلى حاجة، ولا تقلق فالحساب عندي. وبعدين أقعد معك وأخبرك ماذا ستقول بالضبط.. مستعد؟

– مستعد لماذا؟ هل سننزل العتبة؟

– ننزل العتبة؟

– نعم؛ لنشتري البدلة.

– لن أتجادل معك أيها البني آدم! تعال وقف هنا أمام المرآة.

وما إن استوى (عصام) واقفًا أمام المرآة الكبيرة التي على باب خزانة الثياب، حتى فرقع (مرجان) بأصبعيه؛ فتحولتْ بيجامة (عصام) إلى بذلة من قماش بني فاتح ذي خطوط بنية غامقة بالعرض، وصديري من نفس اللون، والبنطال خطوطه بالطول، فوق قميص أحمر ورابطة عنق مرسوم عليها أشكال دائرية بالأبيض والأحمر.

– ما هذا يا مرجان؟ إنّها مثل البيجامة الكستور.

– بيجامة كستور؟ بني آدم فلاح! إنها بذلة كارين أوجوست ثمنها يزيد عن الربعمائة ألف دولار أيّها الأحمق!

– لا لا تعجبني..

ذم (مرجان) شفتيه الرقيقتين في قرف ورماه بنظرة اشمئزاز، ثم فرقع بأصبعيه فتحولتْ إلى بذلة من كشمير سوداء وصديري نفس اللون، ومرصعة بأحجار صغيرة تلمع، وتحتها قميص أبيض ورابطة عنق سوداء.

– وما تلك الأخرى وما هذا الترتر؟ ما هذا القرف!

– قرف؟ ألم أقل إنك بني آدم «فارمار» (فلاح) وأحمق؟ إنّها بذلة من تصميم سيتوارت هيوز، قماشتها خليط من الصوف والكشمير والحرير.. والترِتر!! ما تسميه بجهلك تِرتِر هو عبارة عن ماسات نصف قيراط وثمن البذلة يزيد عن ستمائة ألف دولار.. أما إنّك كوطّا بصحيح.

– أنا قُطة يا مرجان؟

– لأ كوطّا بالهندي يعني كلب مش قطة.

– كلب بالهندي كوطَه؟ والقطة إيه بالهندي يا مرجان؟ أوعى تقولي كلب.

رمقه (مرجان) بنظرته الشرسه، وضرب بيده على فخذه في غيظ؛ فتوجس (عصام) منه خيفة وأراد أن يغير الموضوع، فأردف: «هذه البدلة نتركها ليوم الفرح بإذن الله، أما الآن فاختر لنا بدلة حلوة وتكون شبابية حديثة، مودرن يا أبا المراجين مودرن!».

«ما فيش فايدة!» ثم فرقع بأصبعيه، فتحولتْ إلى بذلة أنيقة من صوف أسود وصديري من نفس اللون، على قميص سماوي ورابطة عنق زهرية رائعة. فتبسم (عصام) راضيًا وقال: «كم ثمن هذه البدلة الجميلة؟ إنّ ملمسها ناعم كالحرير!».

– هذه البدلة من تصميم الإيطالي المبدع ألكسندر أموسو، ويصنعها بالقطعة حسب الطلب، قماشها مزيج من اثنين من أغلى وأندر أنواع الصوف في العالم، وبها تسعة أزرار من الذهب والألماس عيار ١٨ قيراط، ولن أخبرك بثمنها، ولكن عليَّ الحلال يا عصام لو فقدتَ عيار من تلك الأعيرة، سأجعلك تزور الشيخ دياسطي.. هل تتذكر؟

– نعم يا عم مرجان أتذكره.

– نعم هكذا.. تعيد إليّ البدلة لا تنقص فتيلة خيط.. إنها مستأجرة، وسنعيدها إلى صاحبها.. تذكر هذا جيدًا، فإنّ حياتك في كفة وسلامة هذه البدلة في الكفة الأخرى.

– لا تقلق سأحافظ عليها كروحي.

– نعم هذا صحيح.. تعال الآن لأخبرك ماذا ستقول وماذا ستفعل.. أهم شيء لازم تعرفه يا عصومي أنّ المرأة تحب الرجل الشجاع الكريم الرومانسي. وتحتقر الرجل الجبان والبخيل الغليظ. عليك في البداية أن تكون جريئًا وتعبر لها عن كل مشاعرك بكل صدق وصراحة.

– هذه هي المشكلة يا مرجان، ففي كل مرة أراها أمامي ينعقد لساني ولا ينطق، وأصبح كالأبله وأتصرف بمنتهى الغباء.. لا لن أذهب يا مرجان لن أذهب أبدًا.

– ستذهب وستكسب قلبها ثق بي، أنا أعلم الحل ولكن لا تغضب ممّا سأفعله.

– ماذا ستفعل يا مرجان؟

– سترى.. هل أنتَ مستعد؟

– مستعد لماذا أيضًا؟

«أريدك أن تثق بي وأن لا تقاوم» قال هذا ثم تحول (مرجان) إلى دخان كثيف أحاط بـ (عصام) ودار حوله كثعبان، ثم دلف إلى داخل جسده من قفاه واختفى هناك.. و(عصام) يغمغم خائفًا: «لا أقاوم ماذا يا مرجان؟ ماذا ستفعل يا مرجان؟». ثم سمع صوت (مرجان) داخل عقله يقول: «أنا هنا». فردد (عصام) في نفسه وقد تصلب جسده كأنّه أصيب بالشلل: «هنا أين؟ في رأسي؟ ماذا فعلتَ بي يا مرجان؟ أنا لا أستطيع التحكم في جسدي!».

– لن تقدر أن تتحكم في جسدك لأنني لبستك.

– ماذا؟ لبستني؟ ما معنى ما يحدث يا مرجان؟

– لبستك يعني ارتديتك كمعطف، أنا الآن منتشر في كل جهازك العصبي وأتحكم في كل أعضائك.. انظر لهذا.

قال (مرجان) هذا ثم أخذ يتحرك بجسد (عصام)، فحرك يديه وقدميه ثمّ هز رأسه يمينًا وشمالًا، ثم تحرك إلى الأمام ولم يتوقف، خرج من باب الشقة، وهبط الدرج وخرج من المبنى، ووقف على الطوار وأشار إلى سيارة أجرة فتوقفتْ، ففتح بابها وجلس على الكنبة الخلفية. أدار له السائق الضخم رأسه الهائل الحليق، وسأله في صوت خشن غليظ: «على فين إن شاء الله؟».

رد عليه (مرجان) بلسان (عصام) وبصوته آمرًا في قرف: «اطلع وأنا سأخبرك.. هيا حرك السيارة يا بني آدم».

رمقه السائق الهرقلي والمخيف كعتاة المجرمين بنظرة مخيفة ارتعب لها (عصام) الذي كان يشاهد كل هذا من داخل نفسه التي فقد التحكم بها. رمقه (مرجان) بعينين (عصام) متوعدًا؛ فشعر الضخم بالقلق فاعتدل وانطلق بالسيارة في صمت وهو يرمقه بنظرات شرسة في المرآة.

قال (مرجان) في عقل (عصام): «أولًا نشتري الورد، كل النساء تحب الورود».

– مرجان، أنا لا أرتاح لما تفعله بجسدي وأريدك أن تخرج منه حالًا.

– اسمع كلامي، أنا سأجعل نجلاء هذه تحبك وتأخذك من يديك سريعًا

إلى المأذون.

- لا أنا لستُ مرتاحًا لهذا الأمر.

صاح (مرجان) بصوت مرتفع مسموع: «لا تكن حمارًا واسمع الكلام وإلّا ضربتك بالجزمة».

عند سماعه هذا قام السائق الضخم بالضغط بكل قوته على بدال الفرامل، فاندفع (عصام) إلى الأمام في قوة وارتطم بأنفه في ظهر الكرسي أمامه.. عندها خرج (مرجان) من جسد (عصام)، وعاد إلى شكله الطبيعي الذي لا يراه إلا (عصام) فقط، وجلس في الكرسي بجوار السائق الذي احمر وجهه من الغضب وأدار رأسه إلى (عصام) وقال بصوت مخيف: «أنا حمار وحتضربني بالجزمة؟ لقد لعبت في عداد عمرك.. أنت ميت ياض». ثم فتح الباب وخرج بصعوبة لضخامة جسده، ثم فتح باب (عصام) ومد يديه ليشده إلى خارج السيارة، إلّا أنّ (عصام) صرخ وهو يبتعد عن يديه: «الحقني يا مرجان وحياة والديك انقذني». فقفز (مرجان) في مقعد السائق برشاقة، وانطلق بالسيارة التي كان محركها دائرًا بالفعل، وانذهل السائق الضخم عندما رأى السيارة تنطلق مبتعدة دون سائق يقودها.

«أشكرك يا مرجان لقد كاد أن يضربني هذا الوحش!» قال (عصام) وهو يزفر في ارتياح ويتحسس أنفه النازفة.

«ولكنه لم يكن يريد أن يضربك! لقد قرأتُ أفكاره وقد كانتْ أفكارًا في منتهى القذارة». ثم انطلق يضحك بصوت مرتفع وهو يناور بالسيارة بمهارة، في الوقت الذي امتقع فيه وجه (عصام) وهو يفكر في وضعه إذا لم

يهب (مرجان) لإنقاذه! شعر بالغثيان ثم هتف بغضب في (مرجان): «كل هذا يحدث بسببك أيها الشيطان.. أقسم بالله أنت...».

قاطعه (مرجان)، وقال مهددًا وهو يرفع يديه عن عجلة القيادة: «أقسم بالله لو لم تهدأ وتصمت لعدتُ إلى البيت فورًا وتركتك ها هنا في السيارة وحدك لتموت في حادث».

– حسنًا حسنًا لن أتكلم.. اعطني منديلًا..

فمد (مرجان) يده وجذب عدة مناديل ورقية من العلبة على تابلوه السيارة، وأعطاهم لـ (عصام) ليمسح الدم الذي نزف من أنفه.

قال (عصام) بهدوء: «لو سمحتَ يا مرجان اركن على جنب، لا بُد أن نترك هذه السيارة على الفور؛ فغالبًا قد قام صاحبها الآن بالتبليغ عنها، إنّها سيارة مسروقة، أبوس يديك أنا لا ينقصني أن توقفنا الشرطة.. أرجوك..». ما إن قال هذا حتى ظهر أمامهما بالفعل كمين شرطة ضخم، سيارات شرطة وحواجز وعساكر، فهرب قلب (عصام) فزعًا إلى قدميه، وانكمش في مقعده مرعوبًا. أمّا (مرجان) فقد تحوّل إلى نفس شكل السائق الضخم، ودخل بمنتهى الثقة على الكمين.

أوقفه الضابط وطلب منه رخصته ورخصة السيارة، فمدّ (مرجان) يده إلى شماسة السيارة أمامه والتقط منها رخصة السائق ورخصة السيارة وأعطاهما له. وقال له بصوت السائق الضخم: «كله تمام يا باشا؟»، فنظر الضابط في وجهه بترقب ثم أعادهما إليه، وقال: «نعم كله تمام». ثم التفتَ إلى (عصام) المنكمش في مكانه والذي يضع المناديل الورقية على أنفه، ونظر

إليه بارتياب وقال آمرًا: «بطاقتك يا عريس».

– بطاقتي؟

– نعم بطاقتك.

فتش (عصام) في جيوبه، ثم قال بصوت ضعيف لا يكاد يخرج من حلقه: «يبدو أنّني نسيتها في البيت حضرتك».

– حسنًا حضرتك.. انزل.

تطلع (عصام) بعينيّ الهرّ إلى (مرجان) المتجسد في شكل السائق الضخم، وهتف في رجاء: «مرجان!».

– من مرجان؟ انا اسمي سعيد الشافعي حضرتك مش مرجان.

هتف الضابط: «انزل وإلا..». نزل (عصام) وهو يرتجف وينادي في استجداء: «عيبٌ عليك يا مرجان!».

قال (مرجا)ن للضابط: «هذا الأستاذ..» ثم أشار بيديه قرب رأسه إشارة الجنون. «أو شارب حجرين ياباشا يا ريت تخضعوه للتحليل.. أأذهب أنا يا باشا؟».

أشار له الضابط بلا مبالاة وقال: «غور في داهية». ثم أمر العساكر أن يفسحوا له الطريق برفع الحواجز ففعلوا، فانطلق (مرجان) مسرعًا بسيارة الأجرة، ودفع المخبرون بغلظة (عصام) أمامهم ليركب «بوكس» الشرطة ببذلته الألكسندر موسو وهو ينادي في يأس: «مرجان.. طب اِلبسني

يا مرجان وطلّعني من هنا!». فتطلع إليه المخبرون والمتهمون في ريبة، فاستدرك سريعًا: «أنا لم أقصد ما بدر في أذهانكم بقولي البسني يا مرجان». ثم حاول أن يشرح لهم، ولكنّه صمت وجلس منكمشًا مهزومًا وهو يقول في أسى: «الله يحرقك يا مرجان.. كان يوم أسود لما شوفتك يا مرجان الزفت الله يحرقك».

(٢٤)

في حجز القسم جلس (عصام) فوق المصطبة مذعورًا ومشمئزًا من مناظر المحبوسين ورائحة العفن والبول والعرق التي تعبق بالمكان. كانوا حوالي عشرة أفراد منهم النائم ومنهم من يحكي لرفيقه قصة حياته، ومنهم من يجلس وحيدًا، ومنهم من يرمقه بنظرات شريرة جعلته يموت في جلده رعبًا. قام اثنان منهما وجلسا عن يمينه وعن يساره.. أحدهما كان أسمرًا ونحيفًا وشعره أجعد خشن طويل وله وجه فأر برأسه الصغير وأنفه الطويل وفمه الصغير، وعلى جانب وجهه شقًا طويلًا أحدثته قديمًا آلة حادة، أمّا الآخر فكان سمينًا قصيرًا يرتدي جلبابًا على اللحم لا يصل إلّا تحت ركبتيه بقليل، والعرق يتفصد من رأسه الضخم وينساح على وجهه الأسمر المنتفخ كبطيخة كبيرة.. حشراه بينهما وأخذا يتطلعان إليه طويلًا ويرمقانه بنظرات مرعبة، وكانتْ رائحتهما لا تطاق.. مدّ وجه الفأر يده ليسلم عليه، وقال بصوت رفيع مبحوح: «أخوك الطفشان مسجل سرقات وسطو مسلح.. وهذا أخوك أبو زنّة مسجل مخدرات». ومدّ له أبو زنة يديه المتعرقة، فسلم عليه في قرف وخوف.. «أهلًا سهلًا .. أهلًا وسهلًا.. أخوكم عصام».

– وما الذي أتى بك إلى هنا يا أخ عصام؟ يبدو من ثيابك الفخمة أنّك ابن ناس وليس لك في الشمال.

– لا والله حضرتك أنا لا لي في الشمال ولا في اليمين.. أنا هنا تحري لأنّه ليس معي بطاقة.

مد (أبو زنة) أصابعه الضخمة إلى بذلة (عصام) وأخذ يفتش جيوبه، وهو يرمقه بنظرة مخيفة ويأمره بقوله: «فتش نفسك».

– ليس معي أي شيء يا أستاذ أبو زنة صدقني حضرتك.

«يعني نازل من بيتكم هكذا سلط ملط؟» هتف (الطفشان).

– أيوه حضرتك أنا نزلت من بيتنا سلط ملط والله يا أستاذ طفشان، حتى أنّي نسيتُ المحفظة بالبطاقة بكل شيء.. صدقني.

نزل (الطفشان) إلى حذاء (عصام) وانتزعه من قدميه هما والجوربَين وأخذهم، ثم نزع عنه (أبو زنة) جاكت البدلة وهو يتحسس قماشها ويقول: «بدلة آلاجا بصحيح.. قوم واقلع».

– ماذا؟

«اقلع». ثم أخرج من فمه الكبير شفرة حلاقة وضعها على خد (عصام) وتابع: «اقلع وإلا شققتُ وجهك نصفين». فقام (عصام) على الفور وخلع ملابسه حتى لم يتبقَ عليه سوى السروال والفانلة الحمالات.. ولكن (الطفشان) مدّ يده بشفرة أخرى وقال له آمرًا: «اقلع».

– ماذا؟ أقلع ماذا؟

– الباقي.

– الباقي وأجلس هكذا عريان؟

– نعم عريان كما ولدتك الحاجة.. أمك. (ثم انطلق الجميع في ضحك

هيستيري).

اعترض (عصام) محتدًا وهتف: «ولكن.. ولكن هذا لا يجوز يا أخ طفشان، حضرتك هذه ليست أفعال أولاد البلد».

انفجر الجميع في القهقهة، وقال له (أبو زنة) وهو يربتُ بغلظة على كتفه: «نحن فقط نمزح معك يا أستاذ». فأطلق (عصام) زفرة ارتياح، ولكنها كشرا عن أنيابها فجأة، وقال له (أبو زنة) بصوته المخيف: «اقلع ياض.. نحن هنا منذ زمن ولم نرَ حريمنا».

«ماذا؟!!» هتف (عصام) في فزع وانكمش على نفسه فوق المصطبة مرعوبًا. وقبل أن ينقضا عليه، انسل خيط دخان من نافذة الحجر المرتفعة، ودار مسرعا حول (عصام)، ثم تردد صوت (مرجان) بداخل رأسه: «عصومي».

– مرجان، الحمد لله أنّك لحقتني يا مرجان! لقد كانا ينتويان اغتصابي يا مرجان!

قال (مرجان): «ارتح أنت واتركهما لي». قام (عصام) واقفًا فلكزه (أبو زنة) في كتفه وصرخ فيه: «اقلع ياض وإلا...». لم يتم كلامه لأنّ (مرجان) في جسد (عصام) صفعه على وجهه صفعة قوية أسكتته وجمدته في مكانه. ثم صفع الطفشان على وجهه صفعة مثلها. ثم التقط من بين أيديهما ثياب (عصام) ووضعها بجانبه، ثم عاد ولَكَم (أبو زنة) في وجهه فطار بجسده الثقيل في الهواء وارتطم بالجدار وسقط أرضًا. ثم لكَم (الطفشان) فطار وخبط في السقف ثم سقط أرضًا لم يحرك ساكنًا. ثم صاح بصوت جهوري

في بقية المساجين الذين تكوموا في ركن الحجز يرتعشون خوفًا: «حد له شوق في حاجة؟» فهزوا رؤوسهم في رعب أن لا.

انفتح باب الزنزانة ونادى أمين شرطة: «عصام رشدي». فالتفتَ إليه فتابع أمين الشرطة: «تعال معي». فتجاهله وأخذ بهدوء يرتدي ثيابه ثم خرج معه.

أخبره أمين الشرطة أنّ الآنسة جاءتْ ببطاقته وله الآن أن يرحل. التفتَ (عصام) وقد خرج منه (مرجان) إلى حيث أشار الأمين، فوجد العينين الزيتونتين تتطلع إليه في أسى ووجل، فصاح في استغراب: «نجلاء؟».

– نعم نجلاء، كيف حالك يا عصام؟

– الحمد لله.. ولكن كيف علمتِ أنني هنا؟ ومن أين أتيتِ بالبطاقة؟

– كنتُ أنتظرك في الميدان مثلما اتفقنا، اتصلتُ على هاتفك كثيرًا ولكنك لم ترد، وعندما تأخرتَ كدتُ أن أنصرف، ولكن هاتفك رنّ عليّ، وعندما رددتُ وجدتُ صوتًا ضخمًا لرجل يخبرني بأنّه سائق تاكسي وأنك كنتَ راكبًا معه، ولكن كمين شرطة أوقفكما وأخذوك لعدم وجود بطاقة معك.. قال أنّه بعد قليل وجد الهاتف والمحفظة في أرضية التاكسي، وكان رقمي هو آخر رقم قمتَ بالاتصال به. شكرته وطلبتُ منه أن يمرّ عليّ، وكتّر الله خيره فقد مرّ عليه وأوصلني إلى باب القسم ولم يرضَ أبدًا أن يأخذ اكرامية مقابل أمانته ولا حتى أجرة التاكسي.. هو صحيح شكله مخيف، لكن قلبه طيب لأقصى الحدود يا عصام.

– نعم هو طيب لأقصى الحدود بالفعل.. هيا بنا من هنا على الفور.

وعندما خرجا من القسم هتفتْ (نجلاء): «انظر يا عصام، عم سعيد ما زال ينتظرنا.. يا له من رجل طيب! لم يرضَ أن يمشي قبل أن يطمئن علينا.. هيا لنشكره».

كان (مرجان) المتشكل في صورة السائق الضخم يقف بجوار سيارته، وما إن رأى (عصام) حتى بشّ في وجهه واحتضنه وهو يقول: «كفّارة يا أستاذ.. حمدًا لله على سلامتك.. تفضلي يا آنسة نجلاء اركبا معي لأوصلكما إلى أي مكان تريدانه». فركبتْ وهي تشكره على كرمه وأخلاقه.

«ماذا يا أستاذ عصام؟ هل هذا هو الغداء الذي اتفقنا عليه؟» قالتْ (نجلاء) في دلال.

– أ أنا آسف يا نجلاء والله غصب عني.. ربنا ينتقم ممّن كان السبب.. (فرمقه مرجان بنظرة تحذير، فعاد وقال): لا لا، ربنا يطيل في عمره ويبارك فيه..

– يطيل عمر ويبارك في من؟

– في.. في الذي جعلني أعرف كم أنا غاليًا عندك.. لم أرك من قبل في مثل هذا الخوف والقلق.

احمرتْ وجنيتها خجلًا، وقالتْ في حياء: «بالفعل قلقتُ عليك.. ألسنا زملاء في العمل؟».

– مجرد زملاء؟

– لا.. أكثر قليلًا.. على أيّ حال لا تنسَ أنّك مدين لي بعزومة غداء.

– نستطيع أن نذهب الآن إلى أي مكان.

– لا لقد تأخر الوقت ويجب أن أعود إلى البيت، فأبي يقلق كثيرًا عليّ إذا ما تأخرت. (ثم نظرتْ إلى مرجان وقالتْ له): لو سمحت يا عم سعيد ترجعنا ميدان الجيزة.

– حاضر يا آنسة نجلاء تأمريني أمر.

ثم نظر إلى (عصام) في المرآة الخلفية، يستحثه على الكلام، فهزّ (عصام) رأسه كأنّه يقول لا أعرف ماذا أقول.. فلاحظتْ (نجلاء) ارتباكه، فقالتْ له: «ماذا بك يا عصام؟».

تلجلج (عصام) وهو يقول: «لا لا شيء.. فقط كنتُ أريد أن أقول أنّكِ اليوم رائعة الجمال.. هل هذا فستان جديد؟».

– أشكرك.. نعم لقد ارتديتُه اليوم خصيصًا لك، وأنتَ أيضًا ترتدي بذلة جميلة جدًا.

– أشكرك.. نجلاء، هل يمكنني أن أسألكِ سؤالًا؟

– بالطبع اسأل ما تشاء.

– نـ نجلاء هل.. هل هناك أحدٌ ما في حياتك؟

– إذا كنتَ تقصد إذا كنتُ مرتبطةً بأحد ما فلا.

– إذًا لا تحبين أحدًا؟

– بالطبع أحب أبي وأمي وأخي شريف وأختي ثرية وخالتي ميرفت وعمي محسن وصديقتي...

– لا أقصد عائلتك وأصدقائك.. أقصد.. أريد أن أقول لك، أريد أن أقول..

– ماذا تريد أن تقول؟

– أريد أن أقول أن أقول.. (رمقه مرجان في المرآة بنظرة غاضبة يستحثه على النطق).. أريد أن أقول إنني.. إنني..

– وأنا أيضًا.

– وأنتِ أيضًا.. بصدق تقولين هذا؟

– نعم.. أبعد كل هذا لم تشعر بما في قلبي تجاهك؟

– نجلاء، أنا أحبك.. (أمسك بكفيها بين كفيه، فتركتهما له، فتابع): أحبكِ من كل قلبي وأريد.. أريد أن أقابل والدكِ لأطلب يدكِ.

احمرتْ وجنتيّ (نجلاء) وكادتِ السعادة أن تقفز من عينيها وارتسمتْ على وجهها ابتسامة عريضة، وهي تقول: «توقف جانبًا يا عم سعيد لقد وصلنا إلى البيت». ثم أشارتْ إلى شرفة في الطابق الثاني، وقالتْ: «هذه هي شقتنا إذا ما أردتَ أن تعرف عنواني وتزور أبي».

– حقًا.. إذًا أنتِ موافقة؟

– أشرتُ لك على بيتنا ثم ما زلتَ تسأل! يمكنك أن تسأل عم سعيد إذا

ما كنتُ موافقةً أم لا.

قالتْ هذا ثم نزلتْ من السيارة وهي تشكر سعيد السائق على ما فعله، ثم أوصته أن يجيب الأستاذ (عصام) عن سؤاله، وضحكتْ ثم انطلقتْ مسرعة كأنّ قدميها لا تلمسان الأرض من السعادة.

نزل (عصام) ليودعها، ثم ركب بجوار (مرجان) وأطلق زفرة عميقة تعبر عن ارتياحه.. ثم التفتَ إلى (مرجان) الذي عاد إلى شكله الأصلي وسأله: «هل صحيح ما فهمته؟ هي تحبني مثلما أحبها، وهي موافقة على طلبي ليدها؟».

– بنت حلال وجميلة وبتحبك.. تعال نطلع الآن إلى والدها ونطلب يدها.

– حقًا؟

– بالطبع لماذا نضيّع الوقت؟ هيا نطرق على الحديد وهو ساخن، ستقول لأهلها أنني عمك الذي عاد مؤخرًا من الهند.

– ولكن.. كيف أفعل ذلك وأنا مهدد بالطرد من شقتي؟

– لا موضوع الشقة هذا اعتبر أنّه قد انتهى.

– انتهى؟ وكيف ذلك؟

أخرج (مرجان) ورقة مطوية وأعطاها له.. فأخذها وقرأها وكاد فكه أن يسقط فوق صدره من الاندهاش. «ما هذا يا مرجان؟!!!» هتف (عصام)

في ذهول.

– هذا عقد بيع لكل شقق العمارة التي تسكن بها، لقد اشتريتها لك من عمران.

– وببساطة هكذا وافق الحاج عمران؟

– نعم وسيحضر فرحك وسيرقص لك أيضًا إذا أردتَ.

– كيف؟ كيف أقنعته بهذا يامرجان؟ لا بد أن تحكي لي كل شيء.

خاتمة

هتف (عصام): «أتقول أنّه كان في بيتي بالأمس ثلاثة لصوص مسلحين يريدون سرقة عقد الشقة؟ وأنّ ذلك تم بالاتفاق بين عمران وأخي وأختي؟ لا أصدق أنّهما قد بلغا هذه الدرجة من الحقارة والقسوة!».

– مع الأسف هذا ما حدث.. بعد ذلك صورت اللصوص وهم يعترفون بأنّ عمران هو من استأجرهم لسرقة العقد من شقتك، وأنّه أمرهم إذا ما صادفوك أن يقتلوك.. بعد ذلك زرتُ عمران في بيته.. كان يجلس وحده في الصالة بعد أن نامتْ زوجته وأولاده، يقزقز اللب ويشاهد فيلم قديم في التلفاز، فقمتُ بعرض فيديو اعتراف المجرمين عليه، فانكمش في مقعده يرتجف من الخوف عندما شاهد الرجال يعترفون ويذكرون اسمه في جريمة سرقة وشروع في قتل.. وفجأة ظهرتُ بجواره فكاد أن يبول على نفسه وأخذ يسألني في رعب وهو يرمقني بنظراتي المرتعبة: «من أنت ها؟ وماذا تريد مني ها؟ وكيف دخلتَ إلى شقتي ها؟».

قلتُ له: «لا تشغل بالك كثيرًا بكل تلك الأسئلة.. فكر فقط في هذا المأزق الذي أوقعتَ نفسك فيه.. فكر فيما سيحدث لك عندما يُعرض هذا الفيديو على الشرطة، ثم يؤكد الثلاثة رجال أنّهم رجالك وأنّك من أمرتهم بما حدث؟». فركع على قدميه وأخذ يتوسل إليّ: «لا أبوس يديك ورجليك لا تفعل ها لا تفعل.. أنا أصبحت رجل عجوز ومريض ها مريض، ولا أقوى على السجن والبهدلة.. ما عليك سوى أن تأمر ها أنت تأمر وأنا أطيع».

وضعتُ بين يديه عقد بيع الخمس شقق التي اشتراها، ومعه شيك بمبلغ محترم لا يمكنه رفضه مقابل تلك الشقق.. والآن قد حُلّتْ جميع مشاكلك.

– وأخي.. وأختي.

– هما أيضًا لا تشغل بالك بهما.. فقد صورتُ عمران وهو يعترف بأنّه فعل تلك الجريمة بالاتفاق معهما. ثم أرسلتُ لهما الفيديوهات ومعها نصيحة بأن يهربا قبل أن توقفهما الشرطة، وهما الآن في المطار.

– لا أعرف كيف أرد لك جميلك يا مرجان؟ لقد فعلتُ الكثير من أجلي.

– لا تفكر في هذا، كل ما ينبغي أن تفكر فيه الآن هو تحديد موعد زفافك على نجلاء، لقد آن الأوان لكي لا تعيش وحيدًا يا عصام، ولخير ما فعلتَ باختيارك لها. أتمنى لكما كل السعادة!

***

في حفل زفاف هندي أصيل، ارتدى فيه العروسين البذلة الهندية والساري. رقص (مرجان) وغنى بالهندية أغنية ظريفة سعد بها الجميع ورقصوا معه.. أخبرهم (عصام) أن (مرجان) هو عمه الذي عاش طوال حياته بالهند، حتى نال لقب مهراجا.

وفي غرفتها وبينما كانتْ (نجلاء) تتزين لعريسها، عثرتْ في درج المزينة على حافظة غريبة من قطيفة قديمة، تعجبتْ لوجودها، فالتقطتها وأخرجتْ منها خاتم من فضة له فص من عقيق أزرق، فكرتْ أن تسأل (عصام) عنه وبينما لا تشعر وضعته في إصبعها ومسحتْ عليه بطرف مبذلها الحريري،

وذعرتْ عندما أخذ الخاتم يهتز فنزعته وألقته بعيدًا، وهي تصرخ على (عصام) الذي ذعر وهرع إليها، ألقتْ بجسدها في حضنه وأشارتْ له برعب إلى الخاتم الذي يهتز وأخذ دخان كثيف يحيط به، وحضر في تلك اللحظة (مرجان) ووقف خلف العروسين المذعورين يشاهد ذلك الجسد الذي بدأ يتكون من الدخان، ثم برزتْ منه شابة بيضاء رائعة الجمال ترتدي الساري الهندي التقليدي، تقدمتْ إليهم وقالتْ: «نامستيه (مرحبًا) يامري كوشي هي (مرحبًا بكم) ميرا نام ساي (أنا اسمي ساي) أين السيدة أمينة؟».

هتف (عصام): «أمي».

هتف (مرجان) و(نجلاء) معًا: «أمك؟».

رد عليهما في أسى: «أيوه أمينة تبقى أمي، يعني أمي كمان كان عندها خاتم؟».

هتفتْ (نجلاء): «خاتم؟».

تقدم (مرجان) إلى المرأة وهو يقول لـ (نجلاء): «سنشرح لكِ كل شيء فيما بعد». ثم شبّك كفيه أمام وجهه وهز رأسه وقال للجنية في فخر وسعادة: «نامستيه.. ميرا نام مرجان (أنا اسمي مرجان)». وبادلته التحية وهي تقول: «نامستيه.. ميرا نام ساي (أنا اسمي ساي)».

أمسك (مرجان) بكف يدها وقبّله، ثم تأبط ذراعها وقال لها وهما يخرجان من الغرفة معًا: «سأحكي لك كل شيء ساي كوماري (آنسة ساي)، إنّ أصحابنا هؤلاء سيعجبونك كثيرًا، تعالي معي سأريكِ الشقة التي سنعيش

فيها كلنا كعائلة أنا وأنت وعصام ونجلاء». ثم صاح بصوت مرتفع: «هندوستان جينداباد (تحيا الهند)». وشاركته (ساي) الهتاف: «هندوستان جينداباد».

ارتعبتْ (نجلاء) عندما شاهدتِ الخاتم ذا الفص الأزرق يتوسط إصبعها، ورفع (عصام) إصبعه الذي يحيط به الخاتم ذو الفص الأخضر، ثمّ أطلقا معًا صرخة عالية: «لاااااا».

تمت